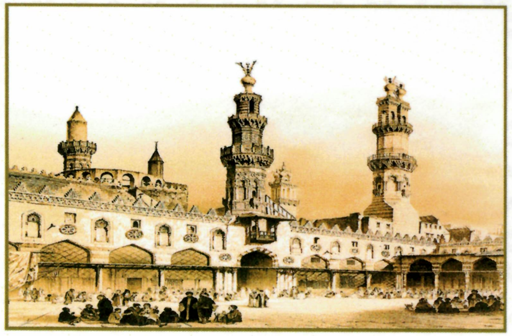
هيئة كبار العلماء

إدارة الدولة في عهد النبي ﷺ



تأليف

أ.د/ عبد الشافي محمد عبد اللطيف

عضو هيئة كبار العلماء

(١٣٥٥-١٤٣٩هـ/١٩٣٦-٢٠١٨م)

تقديم

أ.د/ محمد محمد عبد القادر الخطيب

أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية المتفرغ
بكلية اللغة العربية بالقاهرة - جامعة الأزهر

إعداد

الأمانة العامة لهيئة كبار العلماء

إشراف

أ.د/ عباس شومان

الأمين العام لهيئة كبار العلماء

الطبعة الأولى
لهيئة كبار العلماء
١٤٤٧هـ / ٢٠٢٦م

AL AZHAR AL SHARIF

هيئة كبار العلماء

إدارة الدولة في عهد النبي 285

9900000002855

إدارة الدولة
في عهد النبي صلى الله عليه وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

الأزهر الشريف
هيئة كبار العلماء

إدارة الدولة في عهد النبي ﷺ

تأليف
أ.د/ عبد الشافي محمد عبد اللطيف
عضو هيئة كبار العلماء
(١٣٥٥- ١٤٣٩هـ = ١٩٣٦- ٢٠١٨م)

تقديم
أ.د/ محمد محمد عبد القادر الخطيب
أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية
المتفرغ في كلية اللغة العربية بالقاهرة - جامعة الأزهر

إعداد
الأمانة العامة لهيئة كبار العلماء

إشراف
أ.د/ عباس شومان
الأمين العام لهيئة كبار العلماء

الطبعة الأولى
لهيئة كبار العلماء ١٤٤٧هـ/ ٢٠٢٦م
فهرسة الهيئة المصريَّة العامَّة
لدار الكتب والوثائق القوميَّة

إدارة الدولة في عهد النبي ﷺ

الإعداد الطباعي
إيهاب مجدي عامر
عبد الرحمن الناشرتي

مقاس الصفحة: ١٤ × ٢٠ سم عدد الصَّفحات: ١١٢ صفحة
رقم الإيداع: ٣٢٩٧٨/ ٢٠٢٥
الترقيم الدولي: 2-770-205-977-978

تصدير

الحمد لله الذي علَّم بالقلم، علَّم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على خير مَنْ مشى على قدم، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه إلى يوم الفوز والندم، وبعدُ..

فإن إنكارَ إقامةِ الرسولِ ﷺ دولةً إسلاميةً يعكس قصورًا في الفهم، وربما لأن كثيرًا من كتب السيرة النبوية في عصرنا الحديث لم يوفِّ هذا الجانب حقَّهُ وكان التركيز على الغزوات والسرايا التي حدثت بين الرسول ﷺ وأعداء الإسلام من الكفار واليهود والمنافقين، فقد تصدى فضيلة الأستاذ الدكتور عبد الشافي محمد عبد اللطيف رحمه الله في هذا الكتاب القيِّم إلى معالجة هذا الخلل وإبراز دور الرسول ﷺ في إدارة الدولة في عهده؛ ليؤكد أن الإسلام دينٌ ودولةٌ وجهادٌ وسِلْمٌ، وأن رسول الله ﷺ قد وضع أسسًا متينة لكل جوانب الدولة السياسية، والإدارية، والاقتصادية، والقضائية، والاجتماعية، والعلمية... إلخ.

وهكذا باشر الرسول ﷺ كل مهمات رئيس الدولة طوال حياته، وقد أكد ذلك القرآن الكريم، وأحاديثه ﷺ وتصرفاته العمَلية؛ فقد أقام الحدود، وأنفذ القضاء، وجبى الزكاة؛ ليوزعها على مستحقيها، وعقد المعاهدات، وأعلن الحروب، وعقد الصلح ... وهكذا.

وقد استعان الرسول ﷺ في إدارة الدولة بأصحابه، ودلل البحث على ذلك بوجود الكثير من الوظائف والمهام التي قام بها أصحاب رسول الله ﷺ في بناء الدولة، وقد شمل البحث الحديث عنهم، فكان منهم الوزراء، وصاحب السر، وصاحب الشرطة، وحراس الرسول، وحراس المدينة، والمنفذون للحدود بين يدي الرسول، وحُجَّاب رسول الله ﷺ كما كان هناك بيت الضيافة، ومراقبة الأسواق، وجهاز المعلومات (المخابرات) وجهاز الإعلام.

ولم يقف الكتاب عند هذا الحد بل شَمِلَ الحديث عن اتساع نفوذ الدولة الإسلامية؛ فقد أقبلت الوفود على الرسول ﷺ في العام التاسع الهجري من سائر أنحاء الجزيرة العربية تعلن إسلامها وتبعيتها وقبولها الدخولَ

تحت سيادة الدولة، وكان الرسول يعين عليهم الأمراء، والقضاة، وجامعي الصدقات.

كما قام الرسول ﷺ بتقسيم الجزيرة العربية إلى ولايات مثل ولاية اليمن، وولاية مكة، ... إلخ.

وهكذا أكد البحث أن الجزيرة العربية بأسرها انتظمتها وحدة دينية وسياسية تحت زعامة النبي ﷺ لأول مرة في تاريخها.

رحم الله فضيلة الأستاذ الدكتور عبد الشافي، وجزاه خير الجزاء، وجمعنا به إن شاء الله في جنات ونهر، في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

أ.د/ محمد محمد عبد القادر الخطيب
أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية المتفرغ
بكلية اللغة العربية بالقاهرة - جامعة الأزهر
٢٠/ ١١/ ٢٠٢٥م

تقديم الأمانة العامة لهيئة كبار العلماء

اتسع الجدل حول طبيعة الرسالة الإسلامية، وحول سؤال: هل أقام النبي محمد ﷺ دولةً تُدار بنظامٍ سياسيٍّ وإداري، أو أن مهمته اقتصرت على الهداية والعبادة والدعوةِ الروحية فحسب. وقد شاعت في أوساط بعض المثقفين مقولةٌ خلاصتها أن الإسلام «دينٌ لا دولة»، وأن النبي ﷺ كان زعيمًا دينيًّا فحسب، لا قائدًا لدولةٍ بالمعنى السياسي والإداري.

لكن هذه المقولة -على ما يبدو من بريقها- تخالف جوهر التاريخ، وتتناقض مع أبسط ملامح السيرة النبوية، ومع الواقع الماثل الذي عاشه المسلمون الأوائل في المدينة المنوّرة. فالنبي ﷺ لم يكن مجرد واعظٍ أو معلّمٍ للخير، بل كان قائدًا سياسيًّا واجتماعيًّا، أنشأ كيانًا منظمًا، وأقام نظام حكمٍ له دستورٌ وقيادةٌ وأجهزةٌ ومؤسسات.

لقد كانت الهجرة إلى المدينة نقطة التحوّل الكبرى في تاريخ الرسالة الإسلامية. فهناك لم تبدأ فقط مرحلة بناء النفوس، بل بدأت معها مرحلة بناء الدولة؛ دولةٌ ترتكز على قيم الإيمان والعدل والشورى، وتستمد شرعيتها من الوحي، وقوتها من وحدة الأمة، وعدالتها من ميزان الشريعة. هناك، في المدينة، نشأت أول

دولةٍ في التاريخ تقوم على مبدأ المواطنة لا العصبية، وعلى سيادة القانون لا الأهواء، وعلى المشاركة لا التسلط.

فالنبي ﷺ هو من صاغ وثيقة المدينة التي تُعدّ أول دستورٍ مدنيٍّ في التاريخ الإنساني، جمع فيها بين المسلمين واليهود وسكان المدينة كافة على أسسٍ من العدالة والاحترام المتبادل. وهو الذي نظّم العلاقات الداخلية والخارجية، وبعث السفراء، وأدار شؤون الحرب والسلم، وأشرف على بيت المال، وفصل في النزاعات، وأسس نظام الزكاة كركيزةٍ اقتصاديةٍ واجتماعيةٍ فريدة.

لقد كانت إدارة الدولة في عهد النبي ﷺ مثالًا في التوازن بين الثابت والمتغير، بين المبدأ والمصلحة، بين الشورى والقيادة الحازمة. فقد أدار الدولة بعقلٍ منفتح وروحٍ رحيمة، يُصغي إلى الرأي، ويستشير أصحابه، ويعلّمهم أن الحاكمَ خادمٌ للأمة لا متسلّط عليها. وكانت علاقته برعيّته قائمة على المحبة والمشاركة والمسؤولية المشتركة، فكانت دولته بحقٍّ «دولة الإنسان»، قبل أن تكون دولة السلطان.

وهذا الكتاب، «إدارة الدولة في عهد النبي ﷺ» لفضيلة الأستاذ الدكتور عبد الشافي محمد عبد اللطيف، أستاذ التاريخ الإسلامي وعضو هيئة كبار العلماء، يعيد قراءة تلك التجربة النبوية الفريدة بعيونٍ جديدة، بعيدةٍ عن الغلوّ في المثالية أو الجمود في النقل. إنّه محاولة لاستلهام ملامح النظام الإداري والسياسي في عهد النبوة، من خلال تتبّع القرارات والمواقف التي اتخذها النبي ﷺ في بناء الدولة وتنظيم شؤونها. فهو لا يقدّم السيرة

كأحداثٍ تاريخيةٍ منقضية، بل كنموذج عمليٍّ للحكم الرشيد والإدارة الواعية التي تستلهم الوحي وتفهم الواقع في آنٍ واحد.

وفي زمنٍ تتنازع فيه الأمم حول معنى الدولة والسلطة والعدالة، يعود هذا الكتاب ليذكّرنا بأن الإسلام قد سبق الجميع إلى إقامة دولةٍ توازن بين الحق والواجب، بين الدين والدنيا، بين الفرد والجماعة، وأن تلك الدولة لم تكن طارئةً أو عابرة، بل كانت ثمرة رسالةٍ إلهيةٍ أرادت أن تجعل من الإنسان خليفةً يعمّر الأرض بالقسط والإحسان.

إنه كتابٌ يدعو القارئ إلى أن ينظر في تجربة النبي ﷺ بعين المفكر لا المقلّد، وبروح المتأمل لا المجادل. أن يدرك أن الإسلام لم يكن مشروعًا للوعظ فقط، بل مشروعًا لبناء حضارةٍ تُحسن عبادة الله كما تُحسن إدارة الحياة. وأن من ينفي عن الإسلام صفة الدولة، إنما ينفي عنه جانبًا من روحه، ويغفل عن حقيقة أن الرسالة المحمدية جمعت بين المسجد والديوان، بين الدعوة والإدارة، في وحدةٍ فكريةٍ وإنسانيةٍ فريدة.

ومن هنا، تنطلق صفحات هذا الكتاب؛ رحلةً فكريةً وتاريخيةً في قلب التجربة النبوية، نستعيد فيها ملامح الإدارة النبوية في السياسة والاقتصاد، في القضاء والدبلوماسية، في التخطيط والقيادة، في تأسيس دولةٍ كانت -ولا تزال- أنقى مثالٍ لحكمٍ يقوم على القيم، وعدلٍ ينهل من الوحي، وإدارةٍ تُنيرها البصيرة لا المصالح.

أ.د/ عباس شومان

الأمين العام لهيئة كبار العلماء

ترجمة مؤلّف الكتاب
الأستاذ الدكتور/عبد الشافي عبد اللطيف
(١٣٥٥-١٤٣٩هـ = ١٩٣٦-٢٠١٨م)

نشأته:

ولد فضيلة الأستاذ الدكتور/ عبد الشافي محمد عبد اللطيف وزيري، يوم الجمعة الحادي والعشرين من شهر ربيع الثاني ١٣٥٥هـ = الموافق العاشر من يوليو عام ١٩٣٦م، في نجع القوصة، التابع لمركز أولاد طوق شرق، بمحافظة سوهاج، ألحقه والده بالكُتَّاب في سن الرابعة، وبعدما أتم حفظ القرآن الكريم، التحق بالتعليم الأزهري، بمعهد جرجا الابتدائي، وهو في الثانية عشرة من عمره، حصل فضيلته على الشهادة الابتدائية عام ١٩٥٧م.

مسيرته العلميَّة:

استكمل تعليمه الثانوي في المعهد ذاته، بنظام السنوات الخمس، وبعد الحصول على الشهادة الثانوية انتقل إلى القاهرة عاقدًا العزم على دراسة اللغة العربية، وحينما التحق بكلية اللغة العربية، قرر الالتحاق بقسم التاريخ والحضارة؛ وقد تلقى العلم

في المرحلة الجامعية على يد ثُلَّة من كبار أساتذة التخصص من الأزاهرة وأساتذة جامعة القاهرة، واجتاز فضيلته المرحلة الجامعية بتفوق، ونال درجة الليسانس عام ١٩٦٦م بتقدير جيد جدًّا، مع مرتبة الشرف الأولى.

عُيِّنَ معيدًا بقسم التاريخ والحضارة وكان ذلك على عهد رئيس الجامعة الشيخ أحمد حسن الباقوري [١٩٠٧-١٩٨٥م]، ثم استكمل فضيلته مسيرته العلمية بالالتحاق بالدراسات العليا، فحصل على الماجستير عام ١٩٦٨م.

رشَّحه عميد الكلية فضيلة الشيخ الدكتور محمد نايل [١٩٠٩-٢٠١٠م] لبعثة علمية للحصول على درجة الدكتوراه من بولندا، حيث التحق بقسم الدراسات العربية بجامعة «وارسو» وتلمذ لرئيس قسم الدراسات العربية بالجامعة البروفيسور جوزيف بيلافسكي [١٩١٠-١٩٩٧م] واختار موضوع أطروحته حول «العلاقات بين العرب والبيزنطيين» وبعد أربع سنوات من الدراسة، وتحديدًا في عام ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م، ناقش رسالة الدكتوراه، وعنوانها: «العلاقات السلمية والتبادل الثقافي بين البيزنطيين والعرب في القرنين الثامن والتاسع».

«Peaceful Relations and cultural Exchange between Byzantines And Arabs in the VIII-IX Centuries».

بعد عودته إلى مصر انخرط في العمل الأكاديمي وتدَّرج في الوظائف الأكاديمية، فنال درجة أستاذ مساعد بعد خمسة أعوام من عودته إلى مصر، وبعد خمسة أعوام أخرى رُقِّيَ إلى درجة أستاذ وكان ذلك عام ١٩٨٤م.

أثرى المجال الأكاديمي في مصر، وامتد أثره العلمي إلى بعض الجامعات العربية، التي أعير للعمل بها، وهي:

- جامعة الإمام محمد بن سعود (١٣٩٧ـ ١٤٠١هـ = ١٩٧٧ـ ١٩٨١م).
- جامعة أم القرى كلية الشريعة (١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م).
- معهد الحضارة الإسلامية بجامعة وهران بالجزائر (١٩٨٦ـ ١٩٩١م)
- جامعة صنعاء، كلية الآداب (١٤١٣هـ = ١٩٩٣م).
- جامعة البحرين، كلية الآداب (١٤١٧ـ ١٤١٨هـ = ١٩٩٦ـ ١٩٩٧م).

وفي عام ١٤٢٢هـ = ٢٠٠١م. أصبح أستاذًا متفرغًا بكلية اللغة العربية بالقاهرة.

أهم مؤلفاته:

- «مؤتمر السقيفة وبيعة أبي بكر الصديق دراسة نقدية».
- «تاريخ الإسلام في عصر النبوة والخلافة الراشدة»
- «العالم الإسلامي في العصر الأموي»

- «التاريخ الإسلامي من ظهور الإسلام حتى سقوط الدولة الأموية» بالاشتراك.
- «الحركة الوطنية المصرية وموقفها من الاستعمار والصهيونية» بالاشتراك.
- «أوائل المؤلفين في السيرة النبوية».
- «إدارة الدولة في عهد النبي ﷺ» وهو البحث الذي نجدد نشرته بين يديك.
- «أهل الصُّفَّة رضى الله عنهم».
- «العلمانية في الفكر الإسلامي».

عضوية هيئة كبار العلماء:

صدر قرار رئيس الجمهورية رقم (٤٧٤) في الثامن من ربيع الأول سنة ١٤٣٧هـ، الموافق التاسع عشر من ديسمبر عام ٢٠١٥م، بتعيين فضيلته عضوًا بالهيئة.

وفاته:

توفي رحمه الله يوم الخميس ٢٤ شعبان ١٤٣٩هـ = ١٠ مايو ٢٠١٨م عن ثنتين وثمانين عامًا. رحمه الله رحمة واسعة، وأنزله منازل الأبرار.

مُقدِّمة

الحمد لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على خاتم المرسلين، محمَّد بن عبد الله، وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد:

فهذا البحث الَّذي بين يديك أيُّها القارئ الكريم، وعنوانه: «إدارة الدَّولة في عهدِ النَّبيِّ ﷺ» قد أُلقي في الجمعيَّة المصريَّة للدِّراسات التَّاريخيَّة، في الموسم الثَّقافي (١٩٨٢-١٩٨٣م)، وكان ردًّا على محاضرة ألقاها في الموسم نفسه الأستاذ الدّكتور/ حسين مؤنس رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1] فاجأ

---

(١) الدكتور حسين مؤنس أحد علماء التاريخ الإسلامي الكبار، له عدد من المؤلفات التي تشهد بعلمه منها: «فتح العرب للمغرب»، و«فجر الأندلس»، «مصر ورسالتها»، نشر عددًا من كتب التراث التاريخي، منها «الحلة السيراء» لابن الأبّار - و«رياض النفوس» لأبي بكر المالكي، وترجم عددًا من الكتب، ونال عضوية مجمع اللغة العربية، قال عنه الدكتور محمود علي مكي: «لو أن المرء تأمل ما خلفه قلم حسين مؤنس من كتب ودراسات لما تمالك نفسه من العجب: كيف ينتمي كل هذا النتاج إلى قلم واحد، وهو كثير على جيل من الباحثين؟!» (ينظر ترجمته في مجلة المجمع/ جـ٨٣ صـ٢٥٩، توفي الدكتور حسين مؤنس سنة ١٩٩٦م) رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فراديس الجنات.

الحاضرين وقتها بأفكار غريبة غاية الغرابة، وشاذَّة غاية الشُّذوذ عمّا تعارف عليه المسلمون عبر أربعةَ عشرَ قرنًا من الزّمان؛ حيث أنكر أن يكون الرّسول ﷺ قد أقام دولة إسلاميّة في المدينة بعد الهجرة(١)، وادّعى أنّ الإسلام لا يدعو إلى إقامة دولة، وكلّ ما عمله الرّسول ﷺ في المدينة هو بناء مجتمع إسلاميّ، ولا أدري كيف يكون هناك مجتمع بدون حكومة ودولة؟!

على كلّ حال قوبل هذا الرّأي الغريب بإنكار واستنكار شديدين من جميع الحاضرين، وتصدّى للأستاذ المحاضر الدّكتور عبدُ العزيز صالح(٢) أستاذ التّاريخ القديم بجامعة القاهرة رَحِمَهُ ٱللَّهُ وفنّدَ كلَّ ما أدلى به الدُّكتور حسين مؤنس

(١) هذه الفكرة سرت إلى بعض المفكرين في هذا العصر بقصد ومن غير قصد؛ تأثرًا ببعض المستشرقين والمستغربين، ومن تبعهم من الكتاب العرب، منهم الشيخ علي عبد الرازق صاحب كتاب «الإسلام وأصول الحكم» وردت عليه هيئة كبار العلماء بردود علمية في ذلك الوقت.

(٢) هو الدكتور عبد العزيز صالح محمد حسن، أستاذ التاريخ بكلية الآداب، جامعة القاهرة، وقد نال جائزة الدولة التشجعية لعام ١٩٦٢م، وحصل على وسام الجمهورية من الطبقة الثانية عام ١٩٨٢م، له أكثر من خمسين كتابًا في تاريخ مصر والشرق القديم ينظر ترجمته : صفحة مجمع اللغة العربية: www.arabicacademy.gov.eg

من آراء وحجج، ثمّ طلب منّي أن أعدَّ بحثًا للرَّدِّ على هذا؛ فكان هذا البحث، الّذي أكَّدت فيه من خلال نصوص القرآن الكريم وأحاديث الرَّسول ﷺ وتصرُّفاته العمليَّة أنّ الإسلام دين ودولة، وأنّ الرَّسول ﷺ قد أقام هذه الدَّولة في المدينة المنوّرة، وأنّه كان يباشر كلّ مهمّات رئيس الدَّولة، وفي غضون السّنوات العشر الّتي أقامها في المدينة اكتملت لدولته كلّ مقوّمات الدَّولة وأجهزتها ومؤسّساتها الدّفاعيَّة والأمنيَّة والإداريَّة والإعلاميَّة... إلخ؛ وقد نُشر هذا البحث في مجلَّد ضمّ المحاضرات الّتي أُلقيت في الجمعيّة من (١٩٧٨ -١٩٨٣م).

وبعد؛ فما أردت من نشر هذا الكتاب إلَّا الخير للإسلام والمسلمين، بل للبشريّة جمعاء، فإن كنت قد وفّقت فالحمد والمنَّة لله تعالى وحده، وإلّا فالعفو عنده مأمول، وتسامح القرّاء مرجو، وعلى الله قصد السّبيل.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

أ. د. عبد الشّافي محمّد عبد اللّطيف

أستاذ التّاريخ الإسلاميّ - جامعة الأزهر

الإدارة في عهد النّبيّ ﷺ

المقصود بالإدارة هنا: إدارة الدَّولة، أو بمعنى آخر جهاز الحكم الَّذي كان رسول الله ﷺ يدير الدَّولة الإسلاميَّة من خلاله.

لأنَّ الإدارة بمفهومها الحديث المعقَّد وتَنوُّعِ أجهزتها واختصاصاتها هي من مستحدثات العصور الحديثة، وهي كعلمٍ له قواعده وأصوله المقرَّرة لم تُعرف تقريبًا على نطاق واسع في العالم إلَّا بعد قيام الثَّورة الصِّناعية(١) في أوروبّا في القرن الثّامنَ

---

(١) يطلق هذا المصطلح على سلسلة التّغيّرات الجذريّة الّتي حصلت في الصّناعة في بريطانيا ثمّ في أوروبّا في النّصف الثّاني من القرن الثّامن عشر، وامتدّت خلال القرن التّاسع عشر، كنتيجة لتطوّر العلوم والتّطبيقات العلميّة، مثل الطّاقة الكهربائيّة والبخاريّة والآلات الميكانيكية، وما ترتّب عليها من تغيّر طرق الإنتاج التّقليديّة، وإدارة وتقسيم العمل، والّتي من مظاهرها الإحلال الواسع للآلة محلّ الجهد البشريّ، والتّوسّع في استخدام الطّاقة الكهربائيّة والحديد والصّلب، وظهور وسائل وطرق جديدة للنّقل، وتيسير سبل الاتّصال السّلكيّ واللّاسلكيّ، وانتقال عدد كبير من السّكّان إلى الإنتاج الصّناعيّ، وتزايد مهارات وخبرات العاملين، وحلّ الإنتاج في الورش والمصانع محلّ الإنتاج=

عشرَ، تلك الثّورة الّتي أحدثت تحوُّلًا هائلًا وخطيرًا في الإنتاج الصّناعيّ، بل وفي تاريخ العالم كلّه، وعلاقات دولِه وشعوبه.

وكان من الطّبيعيّ أن تؤدّي الثّورة الصّناعيَّة إلى قيام الشّركات والمؤسّسات الصّناعيّة الضَّخمة الّتي أصبحت تضمُّ أعدادًا هائلة من العاملين، سواء في الإنتاج أم تسويقه، وكان من الطَّبيعيِّ أن يؤدِّي هذا الواقعُ الجديد في ميدان الإنتاج الصّناعي إلى ضرورة التَّفكير في كيفيَّة إدارة هذه المؤسَّسات العملاقة إدارة تضمن انتظام العمل في مختلف جوانبه، وهنا بدأت تظهر نواة علوم الإدارة الحديثة وقواعدها، وبدأت تنشأ المؤسَّسات العلميَّة لتعليم «أصول الإدارة».

أمّا في العصور الوسطى(١)- الّتي ظهر فيها الإسلام - فلم يكن فيها شيء من هذا، فلم تكن هناك مؤسّسات صناعيَّة كبرى،

=في البيوت الضّيّقة. انظر: حسين بن عبد الله الوطبان: معجم مصطلحات الصّناعة والأعمال، مكتبة العبيكان، ٢٠٠٢م، ص ١٥١، ١٥٢.

(١) ينقسم التّاريخ البشريّ المعروف إلى ثلاث حقب رئيسة، هي: العصور القديمة، والعصور الوسطى، والعصور الحديثة، وهناك خلاف بين المؤرّخين على بداية ونهاية العصور الوسطى، والرّاجح أنّها تبدأ من عام ٤٧٦م، وهي السّنة الّتي تمكّنت فيها القبائل الجرمانيّة من القضاء على الدّولة الرّومانيّة الغربيّة، أمّا نهاية=

ولم يكن هناك معاهد لتعليم الإدارة، وإنّما كانت الإدارة في ذلك الوقت موهبة شخصيّة أكثر منها علمًا، فكانت في جملتها إدارة حكوميَّة، وكان رجال الإدارة البارزون يكتسبون الخبرة الإداريّة في المجال العمليّ في ميادين العمل المختلفة.

إذن فالإدارة الّتي نحن بصدد الحديث عنها هي إدارة الدّولة الإسلاميّة الّتي أسَّسها رسول الله ﷺ في المدينة المنوّرة بعد الهجرة.

طبيعة الدّعوة الإسلاميّة:

ولمّا كانت الدّولة الإسلاميّة قد قامت على أساس الرّسالة الإسلاميّة؛ فينبغي أن نقول كلمة عن طبيعة الدَّعوة الإسلاميّة؛ لأنّ ذلك يُعيننا على فهم طبيعة الدّولة الإسلاميّة، وفهم أهدافها العليا.

=العصور الوسطى فالخلاف بين المؤرّخين حولها كبير، فمنهم من يعتبر فتح القسطنطينيّة عام ١٤٥٣م على يد الدّولة العثمانيّة هو نهاية هذه العصور، وبعضهم يرى أنّها تنتهي باكتشاف الطّباعة في سنة ١٤٥٠م على يد «جوتنبرج»، ومنهم من يجعلها تنتهي بوصول «كريستوفر كولومبوس» للأمريكتين عام ١٤٩٢م، وكلّها أحداث وقعت في القرن ١٥ للميلاد. للمزيد انظر: السّيّد عبد الفتاح بلاط: التّاريخ والمؤرّخون المسلمون في العصور الوسطى، مطبعة الجريسي، القاهرة، ٢٠١٢م، ص ٤٥، ٤٦؛ إيناس حسني البهجي: تاريخ أوروبّا في العصور الوسطى، مركز الكتاب الأكاديمي، ٢٠١٧م، ص ٣٣، ٣٤.

فالرّسالة الإسلاميَّة من حيث طبيعتها رسالة عالميَّة؛ أي: لم تأت لفريق دون فريق ولا لأمّة دون أمّة من النّاس، ولا لمكان دون مكان، ولا لزمان دون زمان؛ بل هي عالميَّة الزّمان والمكان وموجهة للجنس البشريّ كلّه.

وتلك الطّبيعة تحدّدها نصوص القرآن الكريم بشكل قاطع في نصوص قطعيّة الدّلالة، منها قول الله -تعالى- مخاطبًا النّبيّ ﷺ ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [سبأ: ٢٨]، ومنها قوله -تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان:١]، ومنها قوله -تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]، ومنها قوله -تعالى: ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ٢٧ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٧- ٢٩]، ومنها قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةً لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] إلى غير ذلك من الآيات الّتي توضّح أنّ رسالة الإسلام موجّهة إلى الجنس البشريّ كلّه.

كما أنّ رسول الله ﷺ عندما أُمر بالجهر بالدّعوة طبقًا لأمر الله له بقوله: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الحِجْر: ٩٤] جَمَعَ وجوه قريش وزعماءها وأعلن لهم رسالته، وكان ممّا قاله لهم: «إنّي رسول الله إليكم خاصّة، وإلى النّاس كافّة»(١).

والرّسالة الإسلاميّة من هذه النّاحية تختلف عن الرّسالات السّماويّة الّتي سبقتها، فتلك الرِّسالات كانت محدودة الزّمان والمكان والبيئة، بمعنى أنّ كلّ رسول كان يُرسَل إلى قوم معيّنين في زمان معيّن أيضًا، لذلك نجد أكثر من رسول متزامنين ومتجاورين كذلك، كما هو الحال بالنّسبة إلى إبراهيم ولوط -عليهما الصّلاة والسّلام- فقد كان إبراهيم في فلسطين ولوط في الأردنّ.

والقرآن الكريم في إخباره لنا بتلك الرّسالات أوضح لنا طبيعتها فيقول عن نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ٤٦٥ رقم١٣٧١)، والنسائي في السنن الكبرى (٨٣٩٧) من حديث علي أبي طالب، (٢/ ٤٦٥ رقم (١٣٧١) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٣٠٢): «رواه أحمد، ورجاله ثقات».

أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ﴾ [نوح: ١] وعن إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ﴾ [الشعراء: ٦٩ - ٧٠].

وعن هود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ٦٥] وعن صالح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ [الأعراف: ٧٣] وعن موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وعن عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وهو آخر الأنبياء قبل بعثة محمّد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ [الصّفّ: ٥]، وهكذا لا نجد رسالة سماويّة وجّهت إلى الجنس البشريّ عامّة سوى رسالة الإسلام.

وغنيٌّ عن البيان أنّ هذا لا يقلّل من شأن الرّسل السّابقين -حاشا لله- ولا من شأن رسالاتهم؛ لأنّ طبيعة رسالاتهم وضعٌ اقتضاه تطوّر الجنس البشريّ وتدرّجه العقليّ، وكلٌّ منهم أدّى

دوره وكان لبنة صالحة في بناء صرح عقيدة التّوحيد، فلمّا نضجت البشريّة واكتمل رشدها وأصبحت مهيّئة لتقبّل وفهم رسالة عالميّة في مبادئها وأهدافها؛ جاءت هذه الرّسالة على يد خاتم الأنبياء محمّد ﷺ الّذي صوّر موقع رسالته من رسالات السّماء أدقّ تصوير فيما يرويه البخاريُّ عنه حيث قال: «إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي، كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ، إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ، وَيَعْجَبُونَ لَهُ، وَيَقُولُونَ: هَلَّا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ؟ فَأَنَا اللَّبِنَةُ، وَأَنَا خَاتِمُ النَّبِيِّينَ»[1].

ولا يظنّ أحدٌ أنّ معنى عالميَّة الإسلام أنّه يجب على المسلمين أن يحملوا سلاحهم لفرض الإسلام على النّاس بالقوّة – كما يدّعي أعداء الإسلام – فهذا أمر غير وارد بنصوص القرآن الكريم ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» كتاب المناقب – باب خاتم النبيين ﷺ (٤/ ١٨٦) برقم: (٣٥٣٥)، ومسلم في «صحيحه» كتاب الفضائل – باب ذكر كونه ﷺ خاتم النبيين (٧/ ٦٤) برقم: (٢٢٨٦)، وأحمد في «مسنده» (٣/ ١٥٧٥) برقم: (٧٦٠٣) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

والمتأمّل في نصوص القرآن الكريم يعلم أنّها توضّح أنّ حمل النّاس على اعتناق دين واحد أمرٌ يكاد يكون مستحيلًا؛ يقول الله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٩٩]، ويقول تعالى: ﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف: ١٠٣].

وإذا فهمنا هذا أدركنا أنّ معنى عالميّة الإسلام أنّه دين يلائم كلّ النّاس من كلّ جنس ولون وأنّه دين مفتوح لكلّ البشر، وطريق الدّخول إليه كلمة يقولها الإنسان فيصبح بعدها مسلمًا، له كلّ الحقوق وعليه كلّ الواجبات، مثله مثل بقيّة المسلمين، مهما كان جنسه أو لونه تلك الكلمة هي: «لا إله إلّا الله، محمّد رسول الله» فهو ليس دين الصّفوة المختارة كما يدّعي اليهود، ولكنّه دين كلّ النّاس، وسبيل دعوة النّاس إليه في الظّروف العاديّة حدّدها القرآن الكريم للنّبيّ ﷺ في قوله تعالى: ﴿ٱدْعُ

إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥].

هذا عن طبيعة الرّسالة الإسلاميّة، فماذا عن طبيعة الدّولة الإسلاميّة؟.

قيام الدّولة الإسلاميّة في عهد الرّسول ﷺ

امتازت الرّسالة الإسلاميّة عن غيرها من الرّسالات بأنَّها عالميَّة -كما أوضحنا- وكذلك امتازت بأنّها دينٌ ودَولَة، أي إنّها: عقيدة دينيَّة تنبثق منها شريعة، يقوم على هذه الشّريعة نظام اجتماعيّ كامل، يحقّق - لو طُبِّق تطبيقًا سليمًا - سعادة البشر في الدُّنيا والآخرة.

ونصوص القرآن واضحة وقطعيَّة الدّلالة في ذلك المجال أيضًا؛ فكما حمَّل القرآن الكريم النّبيّ ﷺ مسئُوليَّة تبليغ الرّسالة للنّاس طبقًا لقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ [المائدة: ٦٧]؛ فقد حمَّله كذلك مسئُوليَّة الحكم بين المسلمين طبقًا لمبادئ وأصول هذه الرّسالة. يقول الله تعالى: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾

[المائدة: ٤٩]، ويقول: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا﴾ [النساء: ١٠٥]، ويقول: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا﴾ [النساء: ٦٥] ﴿أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠].

هذه النّصوص القاطعة الواضحة لا نظنّ أنّها تحتاج إلى كثير من الشّرح والنِّقاش لنفهم منها أنَّ الرّسول ﷺ كان مأمورًا بأن يكون حاكمًا للمسلمين، وأنّ المسلمين لا يكونون مسلمين حقًّا إلّا إذا ارتضوه حاكمًا لهم، إنّ الإسلام كما هو عقيدة وعبادة فهو نظام حكم، ما دام الإسلام نظام حكم فلابدّ من أن تتضح الوسائل اللّازمة لتطبيقه في واقع الحياة.

ودراسة عهد الرّسول ﷺ في المدينة ستوضِّح لنا أنّه ﷺ قد أرسى قواعد الدّولة المنظّمة كأحسن ما يكون التّنظيم، والحكومة الّتي ألّفها الرَّسول ﷺ لإدارة هذه الدّولة كانت ملائمة لعصره، ووافية بحاجيّات المجتمع الّذي كان يحكمه؛

ولا يصحّ أن نلتمس في ولايات هذا العصر ومصطلحاته مماثلًا أو مشابهًا لما كان في عهد الرّسول ﷺ.

يقول ابن تيمية في كتابه الحِسبة في الإسلام: «وكان رسول الله ﷺ في مدينته النّبويّة يتولّى جميع ما يتعلّق بولاة الأمور، يولّي في الأماكن البعيدة ... ويؤمِّرُ على السّرايا، ويبعث على الأموال الزّكويَّة السُّعاة فيأخذونها ممّن هي عليه، ويدفعونها إلى مستحقّيها.. وكان يستوفي الحساب على العمّال يحاسبهم على المستخرج والمصروف»(١).

بل إنّ الّذي يتأمّل المصادر القديمة الموثوق بها ويدقّق في النّصوص يتّضح له أنّ التّفكير في أمر الحكم والدّولة والنّظام السّياسيّ كان موجودًا عند الرّسول ﷺ إلى جانب الدّعوة الدّينيّة منذ البداية، ووقت أن كان في مكّة؛ فقد ذكر الطّبريّ أنّ مشيخة قريش(٢)

(١) ابن تيمية: الحسبة في الإسلام أو وظيفة الحكومة الإسلاميّة، بيروت، د.ت، ص ٢٥.

(٢) مشيخة قريش: أي سادات قريش وكبراؤها، وقد حدّدتهم بعض الرّوايات وهم: الوليد بن المغيرة المخزوميّ، والعاص بن وائل السّهميّ، والأسود بن المطّلب الأسديّ، والأسود بن عبد يغوث الزُّهريّ، والحارث بن الطّلاطلة. انظر: القاضي عبد الجبّار: تثبيت دلائل النّبوّة، دار المصطفي، القاهرة، د. ت، جـ ٢، ص ٣٤٤.

وسرواتهم[١] دخلوا على أبي طالب (عمّ النّبيّ ﷺ) فقالوا له: أنت كبيرنا وسيّدنا فأنصفنا من ابن أخيك فمُرْهُ فليكفّ عن شتم آلهتنا وندعه وإلهه.

قال: فبعث إليه أبو طالب، فلمّا دخل عليه رسول الله ﷺ قال: يا ابن أخي هؤلاء مشيخة قومك وسرواتهم وقد سألوك النَّصَف[٢] أن تكفّ عن شتم آلهتهم ويدَعوك وإلهك. قال: «أي عمّ، أولا أدعوهم إلى ما هو خير لهم منها؟» قال: وإلامَ تدعوهم؟ قال: «أدعوهم إلى أن يتكلّموا بكلمة تدين لهم بها العرب ويملكون بها العجم». قال: فقال أبو جهل من بين القوم: ما هي وأبيك؟ لنعطينّكها وعشرًا أمثالها، قال: «تقول:

---

(١) السّروات : جمع سراة، وسراة كلّ شيء ما ارتفع منه وعلا، والسّرو: الشّرف والرّفعة، والمراد أشراف قريش. انظر: الأزهريّ الهرَويّ: تهذيب اللّغة، ط١، دار إحياء التّراث العربي – بيروت، ٢٠٠١م، جـ٣،ص ٣٨.

(٢) النَّصَفَةُ والنَّصَفُ: اسمُ الإنصافِ، ومعناه أن تعطيه من نفسك النَّصف من الحق، أي تعطي من نفسك ما يستحق من الحق كما تأخذه. الفراهيدي: أبو عبد الرّحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصريّ (ت ١٧٠هـ): كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، د.ت، ج٧، ص ١٣٣.

لا إله إلّا الله». قال: فنفروا وقالوا: سلنا غير هذه، فقال: «لو جئتموني بالشّمس حتّى تضعوها في يدي ما سألتكم غيرها». قال: فغضبوا وقاموا من عنده غِضابًا»(١).

وممّا يسترعي الانتباه أنّ بعض العرب قد فطن إلى ما نفرت منه قريش، وقدّر أنّ هذه الرّسالة سوف تتمخّض عن دولة؛ فقد روى ابن إسحاق عن ابن شِهاب الزُّهْري أنَّ النّبيّ ﷺ عندما كان يعرض نفسه على القبائل العربيّة عَلَّه يجد نصيرًا يؤمن به، «أتى النّبيّ ﷺ بني عامر بن صعصعة(٢)، فدعاهم إلى الله جَلَّ جَلَالُهُ، وعرض عليهم

---

(١) أخرجه الطبري تاريخ الرّسل والملوك-باب- ذكر الخبر عما كان من أمر نبي الله ﷺ عند ابتداء الله تعالى ذكره إياه بإكرامه بإرسال جبريل عليه السلام إليه بوحيه ٢/ ٣٢٤.وأخرجه أيضًا في جامع البيان (٢١/ ١٥٤) في تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ أَنِ ٱمۡشُواْ وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٞ يُرَادُ﴾ [سورة ص:٦]، وإسناده فيه السُّدِّي.

(٢) بطن من هوازن، من قيس بن عيلان، من العدنانيّة، وهم: بنو عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان، ويقال لهم: «الأحامس». وينقسمون إلى أربعة أفخاذ: نمير، ربيعة، هلال، وسوأة، أمّا منازلهم فكانوا كلّهم بنجد ثمّ نزلوا ناحية من الطّائف. عمر رضا كحالة: معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٤م، جـ٢، ص٧٠٨، ٧٠٩.

نفسه[١]؛ فقال رجلٌ منهم[٢] يقال له «بُحَيرة بن فراس»: أرأيت إن نحن تابعناك على أمرك، ثمّ أظهرك الله على من خالفك، أيكون لنا الأمر من بعدك؟ فقال لهم رسول الله ﷺ: «الأمر لله يضعه حيث يشاء» فقال له: أَفَنُهْدِفُ[٣] نُحُورَنَا، لِلْعَرَبِ دُونَك، فإذا أظهرك الله كان الأمر لغيرنا؟! لا حاجة لنا بأمرك»[٤].

---

(١) لم تكن هذه القبيلة هي القبيلة الوحيدة الّتي عرض النبيّ ﷺ عليها نفسه، فقد عرض نفسه على قبيلة كندة بني كلب وبني حنيفة، وتأتي هذه الخطوة من النّبيّ في إطار بحثه عن أرض آمنة يقيم عليها دولته، وتكون قاعدة لانطلاق الدّعوة، والدّفاع عنها، وتكوين المجتمع الّذى سينفّذ شريعة الله.

(٢) أشار الشيخ محمد سليمان المنصورفوري، المتوفى: ١٣٤٨هـ، إلى أن «بحيرة بن فراس القشيريّ» كان رئيس قبيلة بني عامر بن صعصعة. انظر: المنصورفوري: رحمة للعالمين، ترجمه من الأرديّة إلى العربية: د. سمير عبد الحميد إبراهيم، دار السّلام للنشر والتوزيع _ الرياض، د. ت، ص٦٣.

(٣) نهدف أي: نجعلها هدفًا لسهامهم، والهدف الغرض. السُّهيلي: الرّوض الأنف في شرح السّيرة النّبويّة لابن هشام، تحقيق: عمر عبد السّلام السّلاميّ، ط١، دار إحياء التّراث العربيّ، بيروت، ٢٠٠٠م، جـ٤، ص٣٣.

(٤) أخرجه الطبري في تاريخ الرّسل والملوك -باب ذكر الخبر عما كان من أمر نبي الله ﷺ عند ابتداء الله تعالى ذكره إياه بإكرامه بإرسال جبريل عليه السلام إليه بوحيه ٢/ ٣٥٠.

وذكر ابن إسحاق قصّة قدوم «عَدِيّ بن حاتم الطّائيّ» على رسول الله ﷺ فأكرمه النّبيّ ﷺ وأجلسه على وسادته وجلس هو على الأرض. ثمّ قال: «لعلّك يا عديّ إنّما يمنعك من دخولٍ في هذا الدّين ما ترى من حاجتهم - أي من فقر المسلمين - فوالله ليوشكنّ المال أن يفيض فيهم حتّى لا يوجد من يأخذه، ولعلّك إنّما يمنعك من دخولٍ فيه ما ترى من كثرة عدوّهم وقلّة عددهم، فوالله ليوشكنّ أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسيّة على بعيرها حتّى تزور هذا البيت لا تخاف، ولعلّك إنّما يمنعك من دخول فيه أنّك ترى أنّ الملك والسّلطان في غيرهم، وايم الله ليوشِكنَّ أن تسمع بالقصور البيض[1] من أرض بابل قد فتحت عليهم...»[2].

---

(١) القصر الأبيض بالمدائن بالعراق، بناه سابور بن أردشير الشّهير بذي الأكتاف، وأكمله من بعده كسرى أنو شروان، سُمِّي بالقصر الأبيض لشدّة بياض جدرانه، من عجائب أبنية الدّنيا وكان يضرب به المثل لأنّه من أحسن آثار الملوك، وبه الإيوان العظيم المشهور بـ «إيوان كسرى» أو «طاق كسرى». انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥م، جـ ٢ ص٥، ابن الأثير: الكامل في التّاريخ، دار صادر، بيروت، ١٩٦٥م، جـ٢، ص٥١٤.

(٢) أخرجه الطبري تاريخ الرّسل والملوك -باب قدوم وفد بني تميم ونزول سورة الحجرات ٣/ ١١٣.

على أيَّة حال فهم النّبيّ ﷺ رسالته، وأنّ إنشاء دولة على أساسها أمر أصيل فيها، فما إن هاجر من مكّة إلى المدينة حتّى شرع على الفور في تأسيس الدّولة لتحمي الدّعوة وتنظِّم المجتمع.

وقد يقول قائل: لماذا لم يبدأ منذ البداية في تأسيس الدّولة في مكّة؟ والرّدّ: أنّ ذلك لم يكن ممكنًا في مكّة؛ لأنّ الوضع لم يكن مهيَّأً؛ فمكّة قد ناصبت الرّسالة وصاحبها العداء منذ البداية، بل سدّت في وجهه كلّ الطّرق ليبلِّغها لغيرهم من النّاس، فلم يكن ممكنًا ولا منطقيًّا الحديث عن قيام الدّولة في مكّة، أمّا في المدينة فأصبح الوضع مختلفًا تمامًا، والمناخ غير المناخ، والنّاس غير النّاس.

فأهل المدينة أبدوا استعدادهم -بمحض إرادتهم- لقبول الرِّسالة والإيمان بها والدّفاع عنها وعن صاحبها مهما كان الثّمن؛ لذلك لم يُضيّع الرّسول وقتًا في المدينة، بل بدأ على الفور في وضع لَبِناتِ الكيان الجديد، وخطا في ذلك خطوات عمليّة منها:

أولًا: بناء المسجد النّبويّ في المدينة الّذي لم يكن فقط مسجدًا للصّلاة؛ بل كان مركزًا للدّعوة ومقرًّا للحكم، وليس في هذه العبارة غرابة أو مبالغة؛ فكما كان الرّسول ﷺ يتلقّى الوحي فيه ويبلّغه للنّاس، ويشرح ويفسّر ويعلّم أصول الرّسالة، كان كذلك يقضي ويحكم، وفيه يعلّم الصّحابة -رضوان الله عليهم- أمور الدّين وأمور الدّنيا ويدرِّبهم على فنون الحكم والقيادة والإدارة، ويعِدُّهم للدّور الخطير الّذي سيقومون به في الدّولة وفي تاريخ العالم. ومن المسجد كان النّبيّ ﷺ يعقد ألوية الحروب للقادة، ويبعث منه رسله وسفراءه لملوك وأمراء العالم، ويستقبل الوفود. باختصار فقد كان المسجد مقرًّا لنشر الدّعوة ومركزًا لإدارة الدّولة.

ثانيًا: المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، وربما لا يتصوّر البعض أنّ هذه كانت خطوة مهمة في إقامة كيان الدّولة الإسلاميّة؛ فالمهاجرون والأنصار هم نواة المجتمع الجديد فتوثيق العلاقات بينهم أمر ضروريٌّ، خصوصًا وربما أنّ الأساس الّذي قامت عليه المؤاخاة أساس جديد لم يألفه العرب أو يعرفوه من قبل، بل هو

من ثمرات الرسالة الإسلاميّة، فقد قامت المؤاخاة على أساس العقيدة، والعقيدة وحدها، وهذا مؤشّر في غاية الأهمّيّة إلى أنّ الأمّة الّتي يريد الإسلام إنشاءها لن يعترف فيها بأيّة رابطة تقوم على العصبيّة أو العنصريّة القوميّة أو الجنسيّة، فالرّابطة الوحيدة الّتي يقيم لها الإسلام وزنًا هي رابطة العقيدة ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]، وقد ضرب النّبيّ ﷺ مثلًا عمليًّا على ذلك، حين آخى بين عمّه حمزة ابن عبد المطّلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وزيد بن حارثة مولاه(١)،

(١) زَيد بن حَارِثَة بن شُراحِيل بن كعب الكلبيّ، حِبُّ رسول الله ﷺ وأشهر مواليه، أصابه سباء في الجاهليّة؛ فاشتراه حكيم بن حِزَام لعمّته خديجة بنت خويلد، فوهبته للنّبيّ ﷺ بمكّة قبل النبوّة، وهو ابن ثمان سنين، فأعتقه النّبيّ وتبنّاه، وزوّجه بنت عمّته، وهو من أقدم الصّحابة إسلامًا. قال ابن عمر: ما كنا ندعو زيد بن حارثة إلّا «زيد بن محمّد»، حتّى أنزل الله تعالى: ﴿ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٥]. آخى رسول الله ﷺ بينه وبين عمّه حمزة بن عبد المطلب، وكان النّبيّ يحبّه ويقدّمه ولا يبعثه في سريّة إلّا أمّره عليها، استشهد في غزوة مؤتة سنة ٨هـ = ٦٢٩م. انظر ترجمته وأخباره لدى: ابن الأثير الجزري: «أُسُد الغابة في معرفة الصّحابة» تحقيق: محمّد إبراهيم البنّا وزميليه، طبعة دار الشعب، القاهرة ١٩٧٠م جـ ٢، ص٢٨١-٢٨٤؛ الذّهبيّ: «سير أعلام النّبلاء» ط٣، مؤسّسة الرسالة، ١٩٨٥م، جـ ١، ص ٢٢٠-٢٣٠، ابن حجر العسقلاني:=

وهـذا كلُّـه جديـد في بيئـة تقـدِّس الأحسـاب والأنسـاب وتؤمـن بالعصبيّـة(١).

ثالثًا: معاهدة المدينة، أو الكتاب الّذي كتبه رسول الله ﷺ بينه وبين اليهود، فبعد أن آخى الرّسول ﷺ بين المهاجرين والأنصار، واطمأنّ إلى موقفهم وسلامة جبهتهم التفت إلى المدينة ككلّ، فأراد أن يضع لها نظامًا أو أساسا ثابتًا يحدّد العلاقات والحقوق والواجبات بين سكّانها جميعًا، مسلمين وغير مسلمين، فقد كان يقيم في المدينة اليهود، فما وضعهم في الدّولة الجديدة؟ فاليهود قبل الهجرة كانوا يتقاسمون الزّعامة في المدينة مع الأوس والخزرج، بل أحيانًا كانوا يتغلّبون عليهم، والآن فالوضع قد اختلف، بل تغيّر تغيُّرًا كاملًا، فالأوس والخزرج قد آمنوا بالله ورسوله، وأسلموا زمامهم للنّبيّ ﷺ أمّا اليهود فلم يؤمنوا ولم يقبلوا الرّسالة، بل فضّلوا

=الإصابة في تمييز الصّحابة، تحقيق: عبد الله بن عبدالمحسن التّركي، دار هجر، القاهرة، ٢٠٠٨م، جـ٢، ص ٤٩٤ - ٤٩٨.

(١) للمزيد عن المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار انظر: ابن هشام: السيرة النبوية، جـ ٢ص١٢٣، ابن سعد: الطبقات الكبرى، دار صادر بيروت ١٩٦٨م جـ ١ ص ٢٣٨؛ وحياة محمد ﷺ، لمحمد حسين هيكل، ص٢٢٣.

البقاء على دينهم، فلابدَّ من تحديد موقفهم في الدّولة الجديدة بشكلٍ واضح وبنصوصٍ صريحة يُرجع إليها عند الضّرورة؛ فكانت معاهدة المدينة الّتي تعطينا دليلًا آخر على عالميّة الإسلام كرسالة، وعالميّته كدولة، وطبيعته التّنظيميّة.

فقد نظمَّت تلك المعاهدة الحقوق والواجبات والالتزامات كافة بين سكّان المدينة جميعًا، المقيمين فيها من قبل والمهاجرين الوافدين إليها، واعتبرتهم جميعًا سواء في الاعتبار الإنسانيّ والحقوق القانونيّة، فهم جميعًا مواطنون وإن اختلفت عقيدتُهم. وهاك أبرز النّقاط الّتي وردت في هذه المعاهدة كما رواها ابن إسحاق:

«بسم الله الرّحمن الرحيم: هذا كتاب من محمّد النّبيّ [رسول الله] بين المؤمنين والمسلمين من قريش و[أهل] يثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم. أنَّهم أمّة واحدة من دون النّاس»[١]. وهذا إعلان صريح للأساس العقديّ للدَّولة الجديدة، وأنّ باب الولوج إليها هو الإيمان

---

(١) ابن هشام في السيرة -(كِتَابُهُ ﷺ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَمُوَادَعَةُ يَهُودَ)- ٥٠١/١.

بالله، ويستوي في الانتماء إليها أهل مكّة وأهل يثرب وغيرهم ممّن تابع وجاهد...على هذا الأساس تمارس الدّولة سيادتها وسلطتها العليا في الدّاخل والخارج.

وجاء فيها، وهو في غاية الأهمّيّة:

«وأنَّه من تبعنا من يهود فإنَّ له النَّصرَ والأسوَةَ غير مظلومينَ ولا مُتَناصَرٍ عليهم، ...، وأنّ اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربينَ، وأنّ يهود بني عوف أمَّة مع المؤمنين، لليهود دينُهم وللمسلمين دينُهم، مواليهم وأنفسهم...، وأنّ ليهود بني الحارث مثل ما ليهود بني عوف...إلخ» وعدَّدت سائر المجموعات اليهوديّة في المدينة، ثمّ أضافت: «وأنّه لا يخرج أحد منهم إلَّا بإذن محمّد[1]».

وهذا ليس تقييدًا لحرّيتهم، وإنّما هو إجراء وقائيّ اقتضته ظروف نشأة الدّولة، خوفًا من عمليّات التّجسّس، ونقل المعلومات إلى الأعداء وخلافه.

---

(١) أخرجه ابن زنجويه في الأموال باب-كِتَابُ الْعُهُودِ الَّتِي كَتَبَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ لِأَهْلِ الصُّلْحِ ٢/ ٤٦٦ رقم٧٥٠.

وعلى كلّ حال؛ فليس من هدفنا في هذا الموضوع الإطالة في شرح نصوص المعاهدة، فهذا موضوع آخر، وإنّما يعنينا منها هنا أنّها كانت خطوة مهمّة وأساسيّة في إعلان ميلاد دولة الإسلام بقيادة النّبيّ ﷺ باعتراف جميع أطرافها، ومنهم اليهود، ذلك بنص صريح هو:

«وأنَّه ما كان بين أهل هذه الصّحيفة من حدث أو اشتجار يُخاف فسادهُ؛ فإنَّ مردّه إلى الله، وإلى محمّد رسول الله ﷺ، وأنَّ الله على أتقى [أصدق] ما في هذه الصّحيفة وأبرَّه»(١).

والخلاصة: أنّ هذه الوثيقة السّياسيّة كانت فتحًا جديدًا في الحياة السّياسيّة - كما يقول الدّكتور هيكل- «فقد قرّرت حرّيّة العقيدة، وحرّيّة الرّأي، وحرّيّة المدينة، وحرّيّة الحياة والمال، كما حدّدت أعداء الدّولة بصراحة فمنعت من إجارة قريش ومن نصرها»(٢).

---

(١) المصدر السابق- وكذلك راجع نصّ المعاهدة عند ابن هشام: السيرة النبوية، جـ٢ص١١٩ - ١٢٣. ولدى: محمد حميد الله الحيدر آبادي: مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، دار النفائس، ط٥، بيروت ١٩٨٥م، ص ٥٩-٦٤.

(٢) حياة محمد، ص٢٤١.

بهذا الشّكل وبهذه الخطوات العمليّة: بناء المسجد، والمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، ومعاهدة المدينة؛ قامت الدّولة الإسلاميّة في المدينة.

ومن الجدير بالذّكر أنّ المسلمين عندما فكّروا في بدء التّاريخ الإسلاميّ في عهد عمر بن الخطّاب اختاروا الهجرة من بين المقترحات الأخرى، وهذا يدلّ على أنّهم نظروا إلى بدء قيام الدّولة الإسلاميّة[1] أو تمام الدّين والدّولة في الدّعوة الإسلاميّة، ولقد كان اختيار الهجرة للتّقويم اختيارًا موفّقًا؛ فهي في الحقّ استهلال لتاريخ جديد وإعلان لقيام دولة جديدة، ولو اختير مولد الرّسول -مثلًا- لهذا التّقويم مثلما حدث بالنّسبة إلى ميلاد المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ في التّقويم الميلاديّ، لما كان في الاستهلال بالمولد غير دلالة عاطفيّة فحسب، في حين أنّنا نجد في الهجرة وما ترتّب عليها من نتائج تشخيصًا إيجابيًّا أقوى دلالة؛ لأنّه يبرز الكيان الفكريّ

---

(١) محمد فتحي عثمان: دولة الفكرة التي أقامها رسول الإسلام عقب الهجرة، مكتبة وهبة _ القاهرة، ص ٦.

والعمليّ للدّعوة الإسلاميّة في صورة حيّة واقعيّة ملموسة ومحسوسة، والهجرة من هذه الوجهة أقوى دلالة من بدء الدّعوة ونزول الوحي أيضًا؛ فإنّ الدّعوة قد بدأت بين الأقربين ثمّ أخذ نطاقها يتّسع على مراحل، في حين أن الهجرة كانت حدثًا مهمًّا قامت على أثرها دولة شعرت بها بلاد العرب من بعد[١].

كانت الهجرة إذن هي الّتي هيّأت الظّروف لقيام الدّولة الإسلاميّة الّتي قامت عالميّة منذ البداية[٢]؛ عالميّة في وثائق تأسيسها، وفي أصولها ومبادئها، وكذلك في عناصر تركيبها السّكانيّ؛ فكما ضمّت العرب من قريش ويثرب واليهود، ضمّت سلمان الفارسيّ وصهيبًا الرّوميّ وبلالًا الحبشيّ[٣]، ولعلّ هؤلاء كانوا رموزًا لأممهم وشعوبهم الّتي سيدخل معظمها ضمن دولة الإسلام بعد سنوات قلائل.

---

(١) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(٢) د. محمد البهي: الدين والدولة من توجيه القرآن الكريم، ص ٤٩٠ دار الفكر، بيروت، ١٩٧١م.

(٣) دولة الفكرة، ص ٦١.

وقد أعفى الإسلام في بناء دولته الكبرى على روابط العنصريّة والقوميّة فأهدرها؛ توسّعًا في ربط الإنسانيّة، وأهدر الإخاء القبليّ والإقليميّ، وأقام مقامه الإخاء البشريّ[1].

---

(١) محمد الصادق إبراهيم عرجون: نظام الحكم في الإسلام، مكتبة وهبة - القاهرة، ص٣٠.

أوّل رئيس للدّولة الإسلاميّة

قامت الدّولة الإسلاميّة بشكل علميّ، وكان أوّل رئيس لها - بطبيعة الحال - هو رسول الله ﷺ كما نصّت على ذلك معاهدة المدينة، وقد باشر رسول الله ﷺ هذه المهمّة طوال حياته «فأقام الحدود، ونفّذ القضاء، وقضى في الحقوق المدنيّة والجنائيّة، وجبى المال من مواضعه الشّرعيّة، ووزّعه على مستحقّيه وفي مرافقه القانونيّة، وعقد المعاهدات وأعلن الحرب، وعقد الصّلح، وكان في جميع ذلك مؤيّدًا من الله تعالى، فإذا نزلت الحادثة بالأمّة ولم يرد فيها وحي من الله اجتهد فيه ﷺ وشاور أصحابه من شهد منهم من أهل العلم والرّأي وكانوا تارة يجمعون على رأي فيعمل به، وتارة يختلفون فيعمل برأي بعضهم، ويترك رأي البعض الآخر مجتهدًا في ترجيح رأي على رأي»(١).

---

(١) الصادق عرجون: المرجع السابق، ص ٥٤.

والوقائع الّتي اجتهد فيها الرّسول ﷺ وشاور أصحابه كثيرة، كما حدث في غزوة بدر وأحد والأحزاب، وأكثر من ذلك كان يشاور أصحابه فيمن يصلح للإمارة، كما حدث عندما شاور أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في تولية أمير على الطّائف بعد إسلام ثقيف، فأشار عليه أبو بكر بتولية عثمان بن أبي العاص[1]، وقال له: «يا رسول الله، إنّي رأيت هذا الغلام فيهم من أحرصهم على التّفقّه في الإسلام وتعلّم القرآن. فعمل رسول الله ﷺ بمشورة أبي بكر وولّاه»[2]

ولمّا كان رسول الله ﷺ هو الرّئيس الأعلى الّذي يحكم الدّولة الإسلاميّة الّتي تضمّ المسلمين واليهود، فقد كان يحكم

(١) عثمان بن أبي العاص بن بشر بن عبد دهمان، من قبيلة ثقيف، قدم على رسول الله ﷺ مع وفدهم، وكان أصغر الوفد سنًّا، لكنّه أسلم قبلهم، وجعل يسأل رسول الله ﷺ عن الدّين، ويستقرئه القرآن، فأعجب به رسول الله ﷺ وأحبّه، واستعمله على الطّائف، وفي عهد عمر بن الخطّاب تولّى إمارة البحرين، فلمّا عُزل عن البحرين نزل البصرة هو وأهل بيته، وبالبصرة موضع يقال له «شطُّ عثمان» إليه ينسب، مات سنة خمسين أو نحوها. انظر: ابن سعد: الطبقات الكبرى جـ٦، ص٤٩؛ خليفة بن خياط: الطبقات، تحقيق: سهيل زكّار، دار الفكر، بيروت ١٩٩٣م، ص١٠٤.

(٢) أخرجه الطبري في التاريخ باب- أمر ثقيف وإسلامها جـ٣، ص٩٩.

بين المسلمين فيما بينهم، وقضاء رسول الله ﷺ وأحكامه بين المسلمين في الحدود وغيرها أكثر من أن يأتي عليها الحصر، ولمن شاء أن يرجع إلى كتب الحديث والفقه، ففيها تفاصيل كثيرة عن القضايا الّتي قضى فيها رسول الله ﷺ وقد جمع ابن القيّم في كتابه «زاد المعاد» أقضية رسول الله في الجزء الثّالث والرّابع، فليرجع إليه كذلك من شاء.

وكان النّبيّ ﷺ يقضي بين المسلمين واليهود، ومن صور قضائه بينهم ما يرويه الإمام مسلم في صحيحه، عن سهل بن أبي حَثْمَة ورافع بن خُديج: أنّ عبد الله بن سهل بن زيد[1] ومُحَيِّصَة بن مَسعُود[2] خرجا حتّى إذا كانا بخيبر تفرّقا في بعض

---

(١) عبد الله بن سهل بن زيد الأنصاري الحارثي، القتيل بخيبر، وهو أخو عبد الرحمن، وابن أخي حويِّصة، ومحيِّصة، وبسببه كانت «القسامة في الدماء». ابن الأثير: أسُد الغابة جـ٣، ص ٢٦٩.

(٢) مُحَيِّصَة بن مَسعُود بن كعب بن عامر الخزرجي الأنصاري، يكنى أبا سعد، من أهل المدينة، بعثه رسول الله ﷺ إلى أهل «فَدَك» يدعوهم إلى الإسلام، وشهد أحدًا والخندق، والمشاهد. وهو أخو حويِّصة ابن مسعود. ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: علي البجاوي، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٢م، جـ ٤ ص١٤٦٣.

ما هنالك، ثمّ إذا مُحَيِّصَة يجد عبد الله مقتولًا، فدفنه، ثمّ أقبل على رسول الله ﷺ هو، وحوَيِّصَة بن مَسعُود[١] وعبد الرّحمن ابن سهل[٢]...؛ فذكروا لرسول الله ﷺ مقتل عبد الله بن سهل؛ فقال لهم:

«أتحلفون خمسين يمينًا وتستحقّون صاحبكم، أو قاتلكم؟»، قالوا: كيف نحلف ولم نشهد؟ قال: «فتبرؤكم يهود بخمسين يمينًا»، قالوا: كيف نقبل أَيمانَ قوم كفّار؟ فلمّا رأى ذلك رسول الله ﷺ عَقَله. أي: دفع لهم ديته[٣].

كذلك كان يقضي ﷺ بين اليهود أنفسهم، ومن صور قضائه بينهم ما ثبت في الصّحيحين أنّ اليهود جاؤوا إلى رسول الله

---

(١) حوَيِّصة بن مسعود بن كعب بن عامر الخزرجي الأنصاري، أخو مُحَيِّصَة، أسلم على يد أخيه مُحَيِّصةَ، وشهد المشاهد مع رسول الله ﷺ. ابن عبد البر: الاستيعاب جـ١ ص٤٠٩، ابن حجر: الإصابة، جـ٢، ص٦٥٥.

(٢) عبد الرحمن بن سهل بن زيد بن كعب بن عامر الأنصاري، أخو عبد الله بن سهل المقتول بخيبر، شهد بدرًا والمشاهد مع النبي ﷺ استعمله عمر بن الخطاب على البصرة. ابن الأثير: أسد الغابة جـ٣ ص٤٥٣.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات - باب القسامة ٥/ ٩٨ رقم ١٦٦٩.

ﷺ فذكروا له أنّ رجلًا وامرأة زنيا، فقال رسول الله ﷺ: «ما تجدون في التّوراة في شأن الرّجم؟» قالوا: نفضحهم ويجلدون، فقال عبد الله بن سلام: كذبتم، إنَّ فيها الرَّجم، فأمروا بالتّوراة فنشروها، فوضع أحدهم يده على آية الرَّجم، فقرأ ما قبلها وما بعدها، فقال له عبد الله بن سلام: ارفع يدك، فإذا فيها آية الرّجم، فقالوا: صَدقَ يا محمَّد إنَّ فيها الرّجم، فأمر بهما فرُجما[1].

وفي بعض الأحيان كانت ترفع إلى رسول الله ﷺ قضايا قَضىَ فيها بعض الولاة أو القُضاة، ولم يُعجب النَّاس حكمهم، فقد ذكر الإمام أحمدوالبزَّار[2] وغيرهما أنَّ قومًا احتفروا بئرًا باليمن، فسقط فيها رجل فتعلّق بآخر والثّاني بالثّالث والرّابع فسقطوا جميعًا فماتوا، فارتفع أولياؤهم إلى علي بن أبي طالب - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فقال: اجمعوا من حفر البئر من النّاس، فقضى للأوّل بربع الدِّية؛ لأنّه هلك فوقه ثلاثة، وللثّاني بثلثها؛ لأنّه

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب المناقب - باب قول الله تعالى يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ٤/ ٢٠٦ رقم٣٦٣٥، ومسلم في صحيحه كتاب الحدود - باب رجم اليهود أهل الذمة فِي الزنى ٥/ ١٢١ رقم١٦٩٩.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (١/ ١٨١ رقم٥٨٣)، والبزار في مسنده (٢/ ٣٠٥ رقم٧٣٢).

هلك فوقه اثنان، وللثّالث بنصفها؛ لأنّه هلك فوقه واحد، وللرّابع بالدِّية تامّة، فأتوا رسول الله ﷺ العام القابل، فقصوا عليه القصّة، فقال: «هو ما قضى بينكم»[1].

(١) ابن القيّم: زاد المعاد، جـ٣، ص٢٠١.

هيئة الحكومة النبوية

كان الرّسـول ﷺ يقـوم بمهمّـة الحُـكم إلـى جانـب قيامـه بأعبـاء تبليـغ الرّسـالة، لذلـك كان لابـدّ أن يكـون هنـاك مـن يعاونـه في أمـر الحُـكم؛ لأنّ مشـاكل الدّولـة ـ في دور تأسيسـها ـ كثيـرة، وقضايـا النّـاس ومصالحهـم لا تقـف عنـد حـدّ، فاقتضـت الظّـروف أن يسـتعين الرّسـول ﷺ في إدارة الدّولـة بأصحابـه الّذيـن كانـوا كلّهـم مجنّديـن لخدمـة الدّعـوة والدّولـة، وقـد تشـكّلت منهـم هيئـة حكومتـه، وقـد اختـصّ بعضهـم بملازمـة الرّسـول ﷺ حتّـى أطلـق عليهـم اسـم الـوزراء، فقـد صـرَّح أبوبكـر ابـن العربـيّ في «سـراج المريديـن فى سـبيل الدّيـن» بتحسـين حديـث فيـه أنّ (أبـا بكـر وعمـر وزراء النّبـي ﷺ مـن أهـل الأرض)(١).

---

(١) أبو بكر بن العربي: سراج المريدين في سبيل الدين، تحقيق: عبد الله التوراتي، منشورات دار الحديث الكتانية، طنجة، ٢٠١٧ م. جـ٣ص ٢٥٩.

وفي كتاب القوانين الفقهيّة للإمام ابن جُزيّ في حقّ عمر: «وكان هو وأبو بكر وزيرين لرسول الله ﷺ في حياته»[١]، ولا شكّ أنّ حالهما مع رسول الله ﷺ لا يعطي إلّا ذلك، وبما وصلاه من هذه الرّتبة، استخلفهما المسلمون بعده؛ وأخرج الحاكم في المستدرك قال: كان أبو بكر من النّبيّ ﷺ مكان الوزير، فكان يشاوره في أموره كلّها[٢]، ويُروى عنه ﷺ قوله: «وزيريَّ من أهل الأرض أبو بكر وعمر»[٣]، وكان بعض العرب الذّين يعرفون شيئًا عن نظام الحكم عند الفرس والرّوم يطلقون على أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وصف «وزيرَي محمّد»[٤].

صاحب السِّرّ:

وكان حذيفة بن اليمان[٥] صاحب سرّ رسول الله ﷺ؛ فقد

---

(١) ابن جُزيٍّ الغرناطي: القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية، دار ابن حزم، ص ٦٠٩.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب معرفة الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، حديث رقم (٤٤٦٢).

(٣) أخرجه أحمد في فضائل الصحابة ١/ ١٣٤ رقم ١٠٥.

(٤) ظافر القاسمي: نظام الحكم في الشريعة والتاريخ جـ١ ص٤٧.

(٥) حذيفة بن حِسل بن جابر العبسيّ، حليف بني عبد الأشهل، واليمان لقب أبيه، كان صاحب سرٍّ رسول الله ﷺ شهد أحد والخندق وما بعدهما من المشاهد مع رسول الله، فتح الله نهاوند، وهمذان، والرّي، والدينور، والجزيرة الفراتية=

صرَّح الخطيب في تاريخ بغداد أنّ حذيفة بن اليمان كان صاحب سرّ رسول الله ﷺ(١)، ووقعت تسميته بذلك في سنن النّسائيّ(٢) في قصّة ذهاب عَلقَمة(٣) إلى الشَّام ولقائه في دمشق لأبي الدّرداء(٤)، فإنّ أبا

=على يديه، استعمله عمر بن الخطاب -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على المدائن، وبها مات سنة ٣٦هـ. ابن سعد: الطبقات الكبرى جـ٧، ص٢٣٠؛ ابن الأثير: أسد الغابة جـ١، ص٧٠٦ ترجمة رقم ١١١٣.

(١) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، تحقيق: بشّار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠١م، جـ١، ص ٥٠٦.

(٢) أخرجه النّسائي في السّنن الكبرى، كتاب المناقب، باب مناقب الصّحابة - حذيفة بن اليمان (٥، ٨١، رقم (٨٢٩٩). وقد ورد صريحًا في رواية البخاريّ بأنّه «صاحب سرّ النّبيّ». حيث أخرجه في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عمّار وحذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (٣/ ١٣٦٨)، رقم (٣٥٣٣).

(٣) علقمة بن قيس بن عبد الله بن مالك، أبو شبل النّخعيّ الكوفيّ، كان مقدمًا في الفقه والحديث، ورد المدائن في صحبة علي بن أبي طالب -، فشهد حرب الخوارج بالنّهروان، وشهد معه صِفين، توفّي بالكوفة في خلافة يزيد بن معاوية. ابن سعد: الطّبقات الكبرى جـ٦، ص٦٨؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد جـ ١٤، ص٢٤٠.

(٤) عبد الحيّ الكتّاني: نظام الحكومة النّبوية المسمّى «التراتيب الإدارية»، دار الكاتب العربي - بيروت بدون تاريخ جـ١ ص١٧ـ وسنشير إلى هذا الكتاب اختصارًا باسم نظام الحكومة النبوية.

الدّرداء[١] قال: «أليس فيكم صاحب سرّ رسول الله ﷺ الّذي لا يعلمه غيره».

وقال ابن الأثير في أُسدِ الغابة: «حذيفة صاحب سرّ رسول الله ﷺ في المنافقين، لم يعلمهم أحد إلّا حذيفة أعلمه بهم رسول الله ﷺ»[٢].

صاحب الشّرطة:

وكان قيس بن سعد بن عُبادة[٣] صاحب شرطته ـ أي أمير الشّرطة -فقد روى البخاريّ[٤] عن أنس بن مالك قال: «إنّ قيس بن سعد كان بين يدي النّبيّ ﷺ بمنزلة

---

(١) أبو الدّرداء واسمه عويمر بن زيد بن قيس، الأنصاريّ الخزرجيّ، شهد الخندق وما بعدها من المشاهد. كان أحد الحكماء العلماء والفضلاء، نزل دمشق، ومات بها في خلافة عثمان. ابن عبد البرّ: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، جـ٣، ص١٢٢٩.

(٢) ابن الأثير: أسد الغابة، جـ١، ص٧٠٦؛ نظام الحكومة النبوية، جـ١، ص ٢٠.

(٣) قيس بن سعد بن عبادة بن دُليم الخزرجيّ، الصّحابيّ المدنيّ الأمير، كان أحد دهاة العرب من أهل الرّأي والنّجدة والبسالة والسّخاء، أعطاه رسول الله ﷺ الرّاية يوم فتح مكّة، وشهد فتح مصر، وصحب عليًّا والحسن في خلافتهما، رجع إلى المدينة في آخر خلافة معاوية، وبقي فيها حتى مات رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. انظر: ابن سعد: الطّبقات الكبرى، جـ٦، ص١٢٢، ابن عبد البرّ: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، جـ٣، ص١٢٨٩، ابن حجر: الإصابة، جـ٥، ص٣٥٩ - ٣٦١.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأحكام، باب الحاكم يحكم بالقتل على من وجب عليه دون الإمام الذي فوقه (٦/ ٦٥ رقم ٧١٥٥).

صاحب الشُّرَط من الأمير»(١).

حُرّاس الرّسول ﷺ:

وكان للنّبيّ ﷺ حرّاس منهم: «سعد بن زيد الأنصاريّ(٢)، والزُّبير بن العوّام، وسعد بن أبي وقّاص، وسعد بن معاذ، ومحمّد بن مَسْلمة(٣)، وأبو أيّوب الأنصاريّ، وبلال، وذكوان بن عبد قيس(٤)، وعبَّاد بن بشر(٥)»(٦).

---

(١) الكتاني: نظام الحكومة النبوية، جـ١، ص٢٠.

(٢) سعد بن زيد بن سعد الأنصاريّ، من بني عبد الأشهل، الصّحابيّ، شهد بدرًا والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ. ابن عبد البرّ: الاستيعاب، جـ٢، ص٥٩٢.

(٣) محمّد بن مسلمة بن سلمة بن خالد بن عديّ الأوسيّ، من فضلاء الصّحابة، شهد بدرًا والمشاهد كلّها، واستخلفه رسول الله ﷺ على المدينة في غزوة تبوك، توفّي بالمدينة عن سبع وسبعين سنة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. الاستيعاب، جـ٣، ص ١٣٧٧-١٣٧٨.

(٤) ذكوان بن عبد قيس بن خلدة بن مخلد الأنصاريّ، أوّل من أسلم من الأنصار هو وسعد بن زُرارة، شهد العقبة الأولى والثّانية، وهو من البدريّين، استشهد يوم أحد -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ابن سعد: الطبقات الكبرى جـ٣، ص٥٩٣.

(٥) عبَّاد بن بشر بن وقش بن زغبة بن عبد الأشهل الأنصاريّ، أسلم بالمدينة على يد مصعب بن عمير، وشهد بدرًا والمشاهد كلها، وكان من فضلاء الصّحابة. وروى أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن عصاه كانت تضيء له إذا كان يخرج من عند النّبي ﷺ ليلًا إلى بيته، استشهد في معركة اليمامة، وهو ابن ٤٥ سنة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ابن سعد: الطبقات الكبرى، جـ٣، ص٤٤٠.

(٦) ابن سيد النّاس: عيون الأثر في فنون المغازي والسِّير، بيروت، ١٩٨٠، جـ٢، ص٢٩٦؛ ابن عبد ربّه الأندلسيّ: العقد الفريد، طبعة مكتبة النهضة، القاهرة،=

حُرَّاس المدينة أو شرطة المدينة:

ومنهم من كان يقوم على حراسة المدينة ليلًا، مثل «سعد ابن أبي وقّاص، وبُديل بن ورقاء[١]، وأوس بن ثابت[٢]، وعَرابة ابن أوس[٣]، ورافع بن خَديج[٤]»[٥].

=١٩٦٢م، جـ٥، ص٢٥٤؛ عبد الحيّ الكتّاني: نظام الحكومة النبوية، جـ١، ص٣٥٦.

(١) بُديل بن ورقاء الخزاعيّ، أسلم هو وابنه عبد الله بن بُديل وحكيم بن حزام يوم فتح مكة، وشهد بُديل وابنه حنينًا والطّائف وتبوك، وتوفّي قبل النّبيّ ﷺ. ابن سعد: الطبقات، جـ٤، ص٢٩٤؛ ابن الأثير: أسد الغابة، جـ١، ص٣٥٩.

(٢) أوس بن ثابت بن المنذر بن حرام الأنصاريّ من بني النّجّار، وهو أخو حسّان بن ثابت الشّاعر، شهد بيعة العقبة مع الأنصار، وشهد بدرًا، وقتل يوم أحد. ابن سعد: الطبقات الكبرى، جـ٣، ص٥٠٣، ابن عبد البرّ: الاستيعاب، جـ١، ص١١٧.

(٣) عَرابة بن أوس بن قَيْظِي الأنصاريّ، من بني مالك بن أوس، عُرض على النّبيّ ﷺ يوم أحد، فاستصغره فردّه، وأجازه في يوم الخندق، كان عَرابة سيّدًا من سادات قومه كريمًا جوادًا. ابن سعد: الطبقات الكبرى، جـ٤، ص٣٦٩، ابن عبد البرّ: الاستيعاب، جـ٣، ص١٢٨٣.

(٤) رافع بن خَديج بن رافع بن عديّ الأنصاريّ، استصغره رسول الله ﷺ يوم بدر فردَّه، وأجازه يوم أحد، فشهد أحدًا والخندق وأكثر المشاهد، وشهد صِفّين مع عليّ بن أبي طالب -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، توفّي في زمن عبد الملك بن مرْوان سنة ٧٤هـ، وهو ابن ستّ وثمانين سنة. ابن عبد البرّ: الاستيعاب، جـ٢، ص ٤٧٩ـ ٤٨٠.

(٥) أبو الحسن الخزاعي التلمساني: تخريج الدّلالات السّمعيّة على ما كان في عهد رسول الله ﷺ من الحرف والصّنائع والعمالات الشّرعيّة، طبعة المجلس الأعلى للشّؤون الإسلاميّة، القاهرة١٩٨٠م، ص٣٠٣، وسنشير إليه=

المنفذون للحدود بين يدي الرّسول:

ومنهم من كان يقوم بتنفيذ أحكام الحدود بين يديه ﷺ من قتل ورجم وجلد وقطع يد... إلخ، مثل: عليّ بن أبي طالب، ومحمّد بن مسلمة، والزّبير بن العوّام، وعاصم بن ثابت[1] وبلال[2]، وهذه رتبة من أشرف الرّتب؛ لأنّها تتعلّق بأشرف الأشياء وهي الأبدان.

وكان يوجد في المدينة سجن للرّجال وآخر للنّساء[3] ممّن يرتكبون جرائم تستحقّ السّجن وهذا في الأمور الّتي لا توجب الحدّ[4]، وأحيانًا كان يوضع فيها من ينتظر تنفيذ الحكم.

=اختصارًا بعد الآن باسم «تخريج الدّلالات»؛ الكتّاني: نظام الحكومة النّبويّة، جـ١، ص٢٩٣.

(١) عاصم بن ثابت بن قيس الأنصاريّ، شهد بدرًا، وثبت يوم أحد مع رسول الله ﷺ حين ولّى النّاس وبايعه على الموت، وكان من الرّماة المعدودين بين الصّحابة، قتل يوم الرّجيع سنة ٤هـ. ابن سعد: الطبقات الكبرى، جـ٣، ص٤٦٢ _ ٤٦٣.

(٢) عيون الأثر، جـ٢، ص٢٩٦؛ الكتاني: نظام الحكومة النبوية، جـ١، ص٣١٣.

(٣) عُرف السّجن في عهد النّبيّ ﷺ ولم تكن له أماكن ثابتة معدّة للحبس، فأحيانًا كان يتمّ السّجن في المسجد أو في أحد البيوت، كدار «رملة بنت الحارث الأنصاريّة» الّتي حُبس فيها بنو قريظة بعد خيانتهم للنّبيّ ﷺ يوم الأحزاب.

(٤) الخزاعي: تخريج الدّلالات السّمعيّة، ص٣١٢-٣١٣.

حُجّاب الرّسول ﷺ:

وكان للنّبيّ ﷺ حُجّاب يقفون على بابه ليستأذنوا للنّاس في الدّخول عليه، منهم «أنس بن مالك، ورباح الأسود مولاه(١)، وأنسة مولاه(٢)، وعَبد الله بن زُغْب الإِيادي(٣)»(٤). وقد جاء في صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله قال: «جاء أبو بكر يستأذن على رسول الله ﷺ فوجد النّاس جلسوا ببابه ولم يؤذن لهم، قال: فأذن لأبي بكر فدخل، ثمّ أقبل عمر فاستأذن فأذن له»(٥).

---

(١) رباح الأسود النّوبيّ، كان مؤذِنَ رسول الله ﷺ يأذن للنّاس، وهو الّذي استأذن لعمر بن الخطّاب على النّبيّ ﷺ لمّا اعتزل نساءه في المشربة. ابن الأثير: أسد الغابة، جـ٢، ص٢٤٨.

(٢) أنسة مولى النّبي ﷺ يكنى أبا مسرح، ويقال أبو مسروح، يذكر فيمن شهد بدرًا، وكان يأذن على النّبيّ ﷺ إذا جلس، فيما حكى مصعب الزّبيريّ، مات في خلافة أبي بكر -رضي الله عنه. ابن عبد البرّ: الاستيعاب، جـ١، ص١٣٧.

(٣) عبد الله بن زُغْب الإيادي: بضم الزّاي، وسكون الغين، من إياد بن عدنان، مختلف في صحبته، قال أبو زُرعة الدمشقي، وابن ماكولا: «له صُحبَة». ابن حجر: الإصابة، جـ٦، ص١٥٤.

(٤) ابن عبد ربه: العقد الفريد، جـ٤، ص٢٥٤؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، جـ٣، ص١٧١؛ الكتاني: نظام الحكومة النبوية، جـ١، ص٢٩٣.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الطلاق - باب بيان أن تخيير امرأته لا يكون طلاقا إلا بالنية ٤/ ١٨٧ رقم ١٤٧٨.

وهذا الحديث صريح الدّلالة في أنّه كان للرّسول ﷺ حُجّاب يستأذنون للنّاس في الدّخول عليه.

حاملو خاتم الرّسول ﷺ:

وكان للرّسول ﷺ خاتمٌ اتّخذه لختم الرّسائل للملوك والأمراء؛ لأنّه لمّا عَزم على إرسال كتبه إليهم بعد عودته من صلح الحُديبية وكتب لهرقل قالوا: يا رسول الله إنّ الأعاجم لا تقبل الرّسائل إلّا أن تكون مختومة؛ فاتّخذ خاتمًا من فضّة نقشه: «محمد رسول الله» لختم الرّسائل(١)، وكان حنظلة بن الرّبيع بن صيفي(٢)، والحارث بن عوف المُرّيّ(٣) حاملي خاتم

(١) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب العلم - باب ما يذكر في المناولة وكتاب أهل العلم بالعلم إلى البلدان ١/ ٢٤ رقم ٦٥، ومسلم في صحيحه كتاب اللباس والزينة - باب في اتخاذ النبي ﷺ خاتما لما أراد أن يكتب إلى العجم ٦/ ١٥١ رقم ٢٠٩٢، من حديث أنس بن مالك.

(٢) حنظلة بن الرّبيع بن صيفي، من بني أسيد بن عمرو التّميميّ، أحد الّذين كتبوا لرسول الله ﷺ حتّى عرف بالكاتب، مات في إمارة معاوية بن أبي سفيان. ابن عبد البر: الاستيعاب، جـ١، ص٣٧، ابن حجر: الإصابة، جـ٢، ص٦٤٢.

(٣) الحارث بن عوف بن أبي حارثة المُريّ، من فرسان الجاهليّة، قدم على رسول الله ﷺ فأسلم، وبعث معه رجلًا من الأنصار إلى قومه ليسلموا، فقتلوا الأنصاريّ، ولم يستطع الحارث أن يمنع عنه، فجاء الحارث فاعتذر ودفع دية الأنصاريّ. ابن حجر العسقلاني: الإصابة، جـ ٢، ص ٣٨٠-٣٨١.

رسول الله ﷺ[1] إذا غاب أحدهما ناب عنه الآخر، وظلّ خلفاء الرّسول ﷺ يستعملون هذا الخاتم في ختم الرّسائل حتّى سقط من يد الخليفة عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في بئر أريس[2]، والقصّة مشهورة.

وكان هناك من يقوم باستقبال الوفود والاستئذان لها على الرّسول ﷺ وتعليمهم كيف يحيّونه وكيف يتحدّثون إليه ـ وهو ما يطلق عليه الآن نظام «البروتوكول» ـ وقد عنون صاحب كتاب: «نظام الحكومة النّبويّة» لهذا الموضوع بقوله: فصل «في الرّجل يعلّم الوفد كيف يحيّون المصطفى ﷺ»، وكان أشهر من يقوم بهذه المهمّة هو أبو بكر الصّديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

(١) ذكر من حاملي أختام النّبيّ ﷺ أيضًا معيقيب، ويقال: معيقب بن أبي فاطمة الدّوسيّ مولى سعيد بن العاص.

(٢) بئر أريس بفتح الهمزة وكسر الرّاء وسكون المثنّاة التّحتيّة وإهمال آخره، إحدى آبار المدينة، وهي المقابلة لمسجد قُباء في غربيّه، سمّيت بذلك نسبة إلى رجل يهوديّ اسمه أريس، ومعناه بلغة أهل الشّام الفلاّح. السَّمْهودي: وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، تحقيق: قاسم السّامرائي، مؤسّسة الفرقان، ٢٠٠١م، جـ٣، ص٣٣٩.

فقد ذكر ابن إسحاق قصّة قدوم وفد ثقيف على النّبيّ ﷺ في رمضان سنة ٩هـ.

فعند وصولهم إلى المدينة التقوا بالمغيرة بن شعبة – وهو ثقفي مثلهم ـ فأخبر مغيرة أبا بكر رضي الله عنه بقدومهم، فدخل أبو بكر على الرّسول وأعلمه بأمرهم واستأذن لهم، وخرج إليهم وعلّمهم كيف يحيّون رسول الله ﷺ(١).

بيت الضيافة:

وكان في المدينة بيت للضّيافة، كانت تنزل فيه الوفود القادمة على الرّسول ﷺ وكان هناك من يقوم على خدمتهم وإطعامهم، وكان من هؤلاء بلال وثوبان موالي رسول الله ﷺ وكانت الدّار الّتي اتّخذت للضّيافة منزلًا لامرأة من الأنصار اسمها رملة بنت الحارث(٢) ويبدو أنّها كانت واسعة؛ لأنّ ابن

(١) ابن هشام: السيرة النبوية، جـ٤،ص١٩٦؛ الكتّاني: نظام الحكومة النبوية، جـ١، ص٣٩.

(٢) هي رملة بنت الحارث بن ثعلبة بن الحارث بن زيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النّجّار، امرأة من الأنصار من بني النّجّار، تكنى أمّ ثابت، وأمّها كبشة بنت ثابت ابن النّعمان بن حرام، وزوجها معاذ بن الحارث بن رفاعة، وكانت ممّن بايع النّبيّ ﷺ من الأنصار. انظر: ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، جـ٨، ص١٤٠.

إسحاق ذكر أنّ رسول الله ﷺ حبس فيها بني قريظة قبل قتلهم، وكانوا أكثر من ستمائة رجل بأسرهم[١].

مراقبة الأسواق:

ومن الأمور المهمّة الّتي كان يعنى بها رسول الله ﷺ مراقبة الأسواق والإشراف على حركة البيع والشّراء وكلّ ما يتعلّق بالأمور التّجاريّة؛ لضمان سلامة المعاملات وليحصل كلّ إنسان على ما يحتاج دون أن يتعرّض لغشّ أو تدليس، وقد ذكر صاحب السّيرة الحلبيّة أنّ رسول الله ﷺ ولّى عمر بن الخطّاب على سوق المدينة، وتولية عمر على هذا العمل يدلّ على جسامته وأهمّيته.

ثمّ بعد فتح مكّة -سنة ٨ هـ- ولّى رسول الله ﷺ سعيد بن العاص على سوقها[٢] للإشراف على الحركة التّجاريّة. ولمّا

(١) الخزاعي: تخريج الدّلالات السّمعيّة، ص ٦٦٧.

(٢) ابن برهان الدّين الحلبي: السّيرة الحلبيّة (إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون)، طبعة بيروت، جـ٣، ص٣٥٤؛ الكتاني: نظام الحكومة النّبويّة، جـ١، ص٢٨٧؛ الخزاعي: تخريج الدّلالات السّمعية، ص٢٩٩.

كان النّبيّ ﷺ قد ولّى عتّاب بن أَسِيد(١) على مكّة بعد فتحها، فتولية سعيد بن العاص أمر السّوق، يدلّ على أنّه بجانب الولاية العامّة كانت هناك ولايات نوعيّة متخصّصة بناحية محدّدة يتولّاها آخرون.

فبجانب الوالي كان هناك القاضي وجامع الصّدقات، أي: المختصّ بالشّؤون الماليّة، ولأهمّيّة الأسواق والحركة التّجاريّة في حياة النّاس، فقد كان الرّسول ﷺ يقوم أحيانًا بمراقبة سوق المدينة بنفسه، فقد روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنّ رسول الله ﷺ مرّ على صُبْرة(٢) طعام

---

(١) عتّاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمّيّة بن عبد شمس القرشيّ الأمويّ، أسلم يوم فتح مكة، واستعمله النّبيّ ﷺ على مكّة عام الفتح في حين خروجه إلى حنين، فأقام للنّاس الحج تلك السّنة وهي سنة ثمان، ولم يزل أميرًا على مكّة حتّى قُبض رسول الله ﷺ وأقرّه أبو بكر عليها، فلم يزل عليها إلى أن مات، كانت وفاته فيما قال الواقديّ يوم مات أبو بكر الصّديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: ماتا في يوم واحد. ابن سعد: الطّبقات الكبرى، جـ٥، ص٤٤٦، ابن حجر العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة، جـ٧، ص٦٣.

(٢) صُبْرةٌ بضم الصاد، وهي الطَّعَامُ المجتَمع كالكُومَة، وجمعُها صُبَر. انظر: مجد الدين بن الأثير: النّهاية في غريب الحديث والأثر، نشرة الزّاوي والطّناحي، المكتبة العلمية ـ بيروت ١٩٧٩م، جـ٣، ص٩.

-أي: قمح- فأدخل يده فيها فنالت بللا، فقال: «ما هذا يا صاحب الطّعام؟»، فقال: أصابته السّماء يا رسول الله -أي: أصابه المطر- قال: «أفلا جعلته فوق الطّعام كي يراه النّاس، من غشّ فليس منا»(١).

وهذا النّوع من الإدارة الإسلاميّة في عهد الرّسول ﷺ أصبح أساسًا لما عرف بعد ذلك بنظام الحسبة(٢)، أو بولاية الحسبة، والّذي يتولّاها كان يعرف بالمحتسب.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان - باب قول النبي صلى الله عليه تَعَالَى وسلم من غشنا فليس منا ١/ ٦٩ رقم ١٠٢.

(٢) الحسبة: منصب دينيّ في الأساس، وكثيرًا ما كانت تجمع إلى القضاء، والحسبة خادمة لمنصب القضاء، وكان القاضي في مصر والمغرب والأندلس يولّي باختياره من يقوم عليها، وكان للمحتسب مهام عديدة، منها ما يتعلّق بالأمور الدّينيّة والأخلاقيّة مثل حثّ النّاس على المحافظة على الصّلاة، والمحافظة على الأخلاق العامّة كمنع التّعرّض للنّساء، ومنع تبرج النّساء، ومراعاة السّلوك العام والتّمسّك بالفضيلة، ومنع شرب الخمر، ومنع المجاهرة بالفطر في رمضان. وتضمّنت أعمال المحتسب أيضًا: مراعاة المصالح العامّة للمسلمين، والحفاظ على صحّة المواطنين وسلامتهم، بالتّأكد من سلامة الأطعمة والأشربة. ومن أعمال المحتسب أيضًا: الإشراف على الأسواق، والنّظر في الموازين والمكاييل، ومراقبة الأسعار، ومنع الاحتكار، والإشراف على «دور الضّرب»، للتّأكّد من التزامها بالأوزان الشّرعيّة، والإشراف على مصانع النّسيج «دور الطّراز»، ومراقبة=

جهاز جمع المعلومات «المخابرات»:

وكان للنّبيّ ﷺ جهاز دقيق لجمع المعلومات عن الأعداء - وهو ما يقابل جهاز المخابرات في الدّول الحديثة - وممّن كان يقوم بهذه المهمّة بسبسة بن عمرو الجهنيّ(١) الّذي كلّفه رسول الله ﷺ بأن يذهب إلى بدر لجمع المعلومات عن قريش قبيل المعركة، وكذلك طلحة بن عبيد الله، وسعيد ابن زيد(٢) اللّذان أرسلهما رسول الله ﷺ إلى طريق الشّام يتحسّسان الأخبار عن قافلة أبي سفيان.

=أصحاب طوائف الحرَف والتّأكّد من مراعاتهم أصول الصّنعة. انظر: أحمد عبد الرّازق: الحضارة الإسلاميّة في العصور الوسطى، دار الفكر العربي، القاهرة، ٢٠٠١م، ص ١١٥.

(١) بسبسة بن عمرو بن ثعلبة بن خرشة بن زيد، صحابيّ من حلفاء الخزرج، شهد بدرًا باتّفاق، بعثه رسول الله ﷺ عينًا على عير أبي سفيان يوم بدر. انظر: ابن حجر العسقلاني: الإصابة في تمييز الصّحابة، جـ١، ص٤٢٠.

(٢) سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العُزّى العدويّ، أحد العشرة المشهود لهم بالجنّة، أسلم قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم، وهاجر وشهد أحدًا والمشاهد بعدها، وشهد اليرموك وفتح دمشق، وكان أوّل والٍ عليها بعد الإسلام، وتوفّي سنة خمسين وقيل إحدى وخمسين من الهجرة. ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، جـ٣، ص١٠٤.

ومنهم حُذيفة بن اليمان الّذي قام بجمع المعلومات عن الأحزاب في غزوة الخندق. وبُسر بن سفيان الخزاعيّ(١) الّذي كان مختصًّا بجمع المعلومات عن قريش، وعبد الله بن أبي حَدْرد الأسلميّ(٢) الّذي أمدّ الرّسول بالمعلومات عن عزم هوازن على مهاجمته في حُنين، ثمّ قام بالدور نفسه العبّاس بن عبد المطّلب، فقد كان عَيْن رسول الله ﷺ على أهل مكّة، يمدّه بكلّ تحرّكاتهم هذه، وهو الّذي أخبره بمسيرهم في غزوة أحد، وكذلك في غزوة الأحزاب، ممّا مكّن الرّسول ﷺ من حفر الخندق قبل وصولهم إلى المدينة، وكان المسلمون يتقوّون به في مكّة، وكان يحبّ أن يقدم على رسول الله ﷺ فكتب إليه رسول الله: «إنَّ مُقامك بمكّة

---

(١) بُسر بن سفيان بن عمرو بن عويمر بن صِرْمَة بن عبد الله بن قُمير الخزاعيّ، من أشراف بني كعب، كتب إليه النّبيّ ﷺ يدعوه إلى الإسلام، فجاءه مسلمًا، وشهد الحديبيّة والفتح. ابن الأثير: أسد الغابة، جـ١، ص٢١٦.

(٢) عبد الله بن أبي حَدْرَد، من بني رفاعة الأسلميين، يكنى أبا محمد، أول مشهد شهده مع رسول الله ﷺ الحديبية، ثم خيبر، وما بعد ذلك من المشاهد، وتوفي سنة إحدى وسبعين، وهو يومئذ ابن إحدى وثمانين سنة. ابن سعد: الطبقات جـ٤، ص٣٠٩ـ ٣١٠؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق جـ٢٧، ص٣٣٥.

خير»، فلذلك قال رسول الله ﷺ في بدر: «من لقي منكم العبّاس فلا يقتله فإنّما أخرج كُرهًا»(١).

وهكذا كان هذا الجهاز خطيرًا وفعّالًا ويرصد تحرّكات أعداء الدّعوة والدّولة على جميع الجبهات، وقد أمدّ هذا الجهاز النّبي ﷺ بالمعلومات عن تحرّكات الرّوم في الشّمال؛ ممّا كان سببًا في غزوة تبوك(٢).

كُتّاب الرّسول ﷺ:

كان للنّبيّ ﷺ جهاز كبير من الكتّاب، وصل عددهم إلى أكثر من أربعين كاتبًا، منهم: أبو بكر وعمر وعثمان وعليّ، والزّبير ابن العوّام، وخالد وأبان ابنا سعيد بن العاص، وعامر بن فهيرة، وعبد الله بن الأرقم، وثابت بن قيس بن شمّاس، وحنظلة بن أبي عامر الأسديّ، وزيد بن ثابت، ومعاوية بن أبي سفيان، وشُرحبيل ابن حَسنَة، وعبد الله بن عبد الله بن أُبيّ ابن سلول، ومعيقيب

---

(١) ابن هشام: السيرة النبوية، جـ٣، ص٢١٧، الحاكم: المستدرك على الصحيحين، جـ٣، ص٤٣٣، رقم (٥٠٥٧)، الخزاعي: تخريج الدلالات السمعية ص ٤٧٣.

(٢) الواقدي: المغازي، تحقيق/ مارسدن جونس، دار الأعلمي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٩م، جـ٣، ص٩٨٩، ٩٩٠؛ ابن سعد: الطبقات الكبرى، جـ٢، ص١٦٥.

ابن أبي فاطمة الدّوسيّ، والمغيرة بن شُعبة، وخالد بن الوليد، والعلاء بن الحضرميّ(١)، وعمرو بن العاص، وجَهم بن أبي الصَّلت، وعبد الله بن رواحة(٢)، ومحمّد بن مسلمة، وغيرهم(٣).

وكان بعض هؤلاء الكتّاب يكتبون الوحي لرسول الله ﷺ وبعضهم يكتب في الشّئون العامّة للدّولة، إمّا إضافة إلى كتابته الوحي، أو اقتصارًا على الكتابة في الأمور الأخرى.

---

(١) العلاء بن الحضرميّ: يمنيّ الأصل، أسلم قديمًا بمكّة، وأرسله النّبيّ ﷺ بكتاب للمنذر بن ساوى العبديّ بالبحرين يدعوه فيه إلى الإسلام، وولّاه رسول الله ﷺ البحرين سنة ٨ هـ، وجعل له جباية الصّدقة ، توفّي في خلافة عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سنة ٢١هـ. انظر: ابن سعد: الطبقات ٤ جـ، ص٣٥٩-٣٦٤.

(٢) عَبد الله بن رواحَة بن ثعلَبة بن امرئِ القيس بن عمرو الأنصاريّ الخزرجيّ، ممّن شهد بيعة العقبة، شاعر من الّذين ناضلوا عن رسول الله ﷺ، وشهد بدرًا، والمشاهد كلّها مع رسول الله ﷺ استشهد في غزوة مُؤتَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سنة ٨هـ. ابن الأثير: أسد الغابة، جـ٣، ص ٢٣٥-٢٣٨، الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ١، ص٢٣٠- ٢٤٠.

(٣) الخزاعي: تخريج الدّلالات السّمعية، ص ١٥٧، وما بعدها؛ الكتّاني: نظام الحكومة النّبويّة، جـ١، ص١١٥، وما بعدها؛ محمد كرد علي: الإسلام والحضارة العربية، مطبعة لجنة التّأليف والتّرجمة والنّشر، ط٣، القاهرة، ١٩٦٨م، جـ٢، ص٩٧؛ ظافر القاسمي: نظام الحكم في الشّريعة والتّاريخ، جـ١، ص ٤٨.

فكان عليّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من المختصّين بكتابة العهود وعقود الصّلح، وهو الّذي كتب وثيقة صلح الحديبية، وكان معيقيب بن أبي فاطمة، وكعب بن عمرو بن زيد الأنصاريّ يكتبان المغانم، وكان يقال للأخير: صاحب المغانم(١).

وحذيفة بن اليمان كان يكتب خَرْصَ(٢) تمر الحجاز، والعلاء ابن عُقبة(٣)، وعبد الله بن الأرقم(٤) يكتبان بين النّاس في قبائلهم ومياههم، وفي دور الأنصار بين الرّجال والنّساء، وكان عبد الله بن الأرقم يجيب الملوك عن رسول الله ﷺ، والزّبير بن العوّام، وجهم

---

(١) الخزاعي: تخريج الدّلالات السّمعية ص٤٩٩، ٥٠٠، ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، جـ٥، ص٤٥٣.

(٢) الخَرْصُ: حَزْرَ ما على النّخل من الرُّطب تمرًا، وما على الكرم من العنب زبيبًا، من الخرص وهو الظّنّ، لأنّ الحزْر إنّما هو تقدير بظنّ، والاسم الخِرص بالكسر، والخارص فاعله. ابن الأثير: النّهاية في غريب الحديث والأثر، جـ٢، ص٢٣.

(٣) العلاء بن عُقبة، كان النّبيّ ﷺ يبعثه هو والأرقم في دور الأنصار، يكتبان بين النّاس المداينات والعهود والمعاملات. ابن حجر: الإصابة، جـ٧، ص٢٤٠.

(٤) عبد الله بن الأرقم بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف، القرشيّ الزُّهْريّ، أسلم عام الفتح، وكتب للنّبيّ ﷺ ثمّ لأبي بكر، واستكتبه أيضًا عمر، واستعمله على بيت المال، ومن بعده عثمان، حتّى استعفى فأعفاه عثمان - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. ابن عبد البر: الاستيعاب، جـ٣، ص٨٦٥؛ ابن الأثير: أسد الغابة، جـ٣، ص١٧١.

ابن أبي الصَّلْت يكتبان أموال الصّدقات، والمغيرة بن شعبة يكتب المداينات والمعاملات[1].

وكان زيد بن ثابت الأنصاريّ -إضافة إلى كتابة الوحي- مترجم رسول الله[2]؛ لأنّه كان يعرف عددًا من اللّغات منها الفارسيّة والعبريّة[3].

جهاز الإعلام:

وكذلك كان لرسول الله ﷺ عدد من الشّعراء والخطباء الّذين يدافعون عنه وعن دعوته ودولته ضدّ من كانوا يهاجمونه من شعراء مكّة وغيرها كعبد الله بن الزّبعرى[4] الّذي كان

(١) ابن عبد ربه: العقد الفريد، جـ٤، ص٢٤٤.

(٢) زيد بن ثابت بن الضّحّاك بن لوذان الأنصاريّ النّجّاريّ، أبو سعيد، كَتَبَ الوحي بين يدي رسول الله ﷺ وكان من أئمّة الصّحابة والرّاسخين في العلم، ترجم للرّسول ﷺ عن العبريّة والسّريانيّة، والفارسيّة، مات سنة خمسين للهجرة ابن سعد: الطبقات، جـ٢، ص٣٥٨؛ ابن عبد البر: الاستيعاب، جـ٢، ص٥٣٧-٥٣٩.

(٣) انظر عن تنوّع اختصاصات كُتَّاب الرّسول ﷺ في المصادر السابقة.

(٤) عبد الله بن الزِّبَعْرَى بن قيس بن عديّ بن سعد القرشيّ السّهميّ الشّاعر، كان من أشدّ النّاس على رسول الله ﷺ وأصحابه بلسانه ونفسه، من أشعر النّاس وأبلغهم. وكان يهاجي حسّان بن ثابت، وكعب بن مالك، أسلم عام الفتح، وحسن إسلامه، =

يهاجم الرّسول ودعوته بقصائد قاسية فكان شعراء الرّسول ﷺ يتصدّون للرّدّ عليه، ومن شعراء الرّسول البارزين: حسّان ابن ثابت الأنصاريّ، وعبد الله بن رواحة، وكعب بن مالك، ومن خطبائه: ثابت بن قيس(١). وممّا هو معروف أنّ الشّعر والخطابة كانا وسيلة الإعلام الرّئيسية في ذلك الوقت.

هذا بإيجاز هو الجهاز الحكوميّ الّذي كان يعاون الرّسول ﷺ في إدارة الدّولة ونحيل من يريد الاستزادة عن هذا - بالإضافة إلى كتب الحديث والفقه والسّير والمغازي والتّاريخ والأدب - إلى كتابين رئيسيّين: الكتاب الأوّل: كتاب تخريج الدّلالات السّمعيّة على ما كان في عهد رسول الله ﷺ من

=واعتذر لرسول الله ﷺ فقبل عذره، ثمّ شهد ما بعد الفتح من المشاهد. ابن عبد البر: الاستيعاب، جـ٢، ص٩٠١، ٩٠٢.

(١) انظر قصّة وفد بني تميم في تاريخ الطبري، جـ٣، ص١١٦، ١١٧ عندما جاؤوا إلى الرّسول ﷺ يفاخرون بشاعرهم الزّبرقان بن بدر، وخطيبهم عطارد بن حاجب، فلمّا فرغ شاعرهم وخطيبهم أمر النّبيّ بشاعره حسّان بن ثابت وخطيبه ثابت بن قيس أن يردّا عليهما، فلمّا فرغ حسّان بن ثابت وكان آخر المتحدّثين، قال زعيمهم الأقرع بن حابس: «إنّ هذا الرّجل لمؤتى له_ أي مؤيّد مستهلّ له_ ولخطيبه أخطب من خطيبنا، ولشاعره أشعر من شاعرنا، ولأصواتهم أعلى من أصواتنا، فلمّا فرغ القوم أسلموا»، وجوّزهم رسول الله ﷺ فأحسن جوائزهم.

الحرف والصّنائع والعمالات الشّرعيّة، لأبي الحسن الخزاعيّ المتوفّى سنة ٧٨٩ هـ، والّذي طبعه المجلس الأعلى للشّؤون الإسلاميّة بالقاهرة، سنة ١٩٨٠م.

والكتاب الثّاني: هو نظام الحكومة النّبويّة المسمّى بالتّراتيب الإداريّة، لكاتب مغربيّ هو الشّيخ عبد الحيّ الكتّانيّ، والكتاب مطبوع في دار الكتاب العربيّ في بيروت بلبنان بدون تاريخ[١].

خلفاء الرّسول على المدينة أثناء غيابه عنها في غزو أو غيره:

إذا كان الرّسول ﷺ موجودًا في المدينة فهو المشرف الأعلى على الأمور كلّها، وهو الّذي يوزّع الأعمال على الصّحابة - رضوان الله عليهم - كلّ في مجاله. وعندما كان يغيب عنها ولو ليوم واحد، فإنّه كان ينيب أحد أصحابه عنه ليتولّى إدارة الأمور حتّى يرجع، ففي غزوة أحد الّتي دارت معاركها بالقرب من المدينة فإنّه عهد بأمر المدينة لابن أمّ مكتوم[٢].

---

(١) أعيد نشره في دار الأرقم في بيروت في مجلدين سنة ١٩٩٦م.

(٢) عبد الله بن أمّ مكتوم القرشيّ، من بني عامر بن لؤيّ، أسلم قديمًا بمكّة، وهاجر إلى المدينة، كان مؤذنًا لرسول الله ﷺ واستخلفه الرّسول على المدينة أكثر من مرّة،=

وباستعراض الأسماء الّتي كان الرّسول ﷺ يعهد إليها بأمر المدينة أثناء غيابه نجد أنّه قلّما كان يولّي النّيابة عنه لشخص واحد أكثر من مرّة(١)، ونستنتج من ذلك أنّه ربّما كان يقصد أن يتيح الفرصة لأكثر من شخص للتّدريب والممارسة العمليّة في مباشرة الحكم والإدارة، ليكون هناك العدد الكافي للاضطلاع بحكم الولايات فيما بعد عند اتّساع الدّولة، وهو أمر لم يطل انتظاره، فمثلًا عند خروج الرّسول ﷺ في غزوة الأبواء- وَدَّان- في ربيع الأوّل سنة ٢هـ استخلف على المدينة سعد بن عبادة(٢).

=شهد ابن أمّ مكتوم فتح القادسيّة، وتوفّي في خلافة عمر بن الخطّاب -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-. ابن سعد: الطبقات الكبرى، جـ٤، ص٢٠٦، ابن عبد البر: الاستيعاب، جـ٣، ص٩٩٧، ١١٩٩.

(١) هذا القول لا يعتمد على استقراء كامل؛ فقد استخلف النّبيّ ﷺ عبد الله بن أمّ مكتوم على المدينة ثلاث عشرة مرّة. ابن سعد: الطبقات الكبرى، جـ٤، ص٢٠٥.

(٢) الأبواء: واد من أودية الحجاز، بين مكّة والمدينة، يبعد عن رابغ (٤٣ كم)، وفي هذه الغزوة خرج النّبيّ ﷺ في مائتين من أصحابه، يعترض عيرًا القريش، فبلغ بواط، فلم يلق كيدًا فرجع إلى المدينة. انظر: تاريخ الطبري، جـ١، ص٤٠٧؛ محمّد شُرَّاب: المعالم الأثيرة في السّنة والسّيرة، ط١، دار القلم، دمشق، والدار الشامية، بيروت، ١٩٩١م، ص١٧.

وفي «غزوة بُوَاطَ» في الشهر نفسه استخلف سعد بن معاذ(١)، وفي خروجه لمطاردة كُرْزِ بْنِ جَابِرٍ الْفِهْرِيِّ(٢)، في الشّهر نفسه استخلف زيد بن حارثة(٣)؛ وفي «غزوة ذِي الْعَشِيرَةِ»(٤) استخلف أبا سلمة بن عبد الأسد(٥)، وفي غزوة «بدر الكبرى» رمضان سنة ٢هـ. استخلف أبا لبابة بشير بن عبد المنذر(٦)، وفي «غزوة خيبر» استخلف سِباعَ بن عُرْفُطَةَ(٧) الغفاريّ(٨)، وفي «فتح مكّة»

(١) تاريخ الطّبري، جـ١، ص٤٠٧.

(٢) كان كُـرْز بـن جابـر الفِهْـرِي قـد أغـار علـى سـرح المدينـة [ماشـيتها]، فطلبـه رسـول الله ﷺ حتّى بلـغ سَفَوان مـن ناحيـة بـدر، لكـن كُـرز كان قـد فاتـه، فعـاد ﷺ إلـى المدينـة. وهـذه الغـزوة يُطلـق عليهـا البعـض (غـزوة بـدر الأولـى). ابـن سـعد: الطبقـات الكـبرى، جـ٢، ص٩.

(٣) الطبري: التاريخ، جـ٢، ص٤٠٧.

(٤) وكانت في جُمادى الأولى، حيث خرج النّبيّ ﷺ في طلب قافلة لقريش تحمل تجارة لهم، وكان يحمل لواءه حمزة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فلمّا وصل العشيرة _ وهي من ناحية ينبع بين مكّة والمدينة _ فوادعَ بني مدلج وحلفاءهم من ضمرة، ورجع، ولم يلق كيدًا، أي: حربًا. ابن سعد: الطّبقات الكبرى، جـ٢، ص١٠.

(٥) الطّبري: التّاريخ، جـ٢، ص٤٠٨.

(٦) تاريخ الطّبري، جـ٢، ٤٧٨.

(٧) سِـباعُ بـن عُرْفُطَـة الغفـاريُّ اسـتعمله النّبيّ ﷺ علـى المدينـة لمّـا خـرج إلـى خيـبر، وإلـى دومـة الجنـدل، وهـو مـن مشـاهير الصّحابـة. ابـن الأثيـر: أسـد الغابة، جـ٢، ص٤٠٣.

(٨) الطبري: التّاريخ، جـ ٣، ص٩.

استخلف أبا رُهْم حصين بن خلف الغفاريّ(١)، وفي غزوة «تبوك» استخلف محمّد بن مسلمة الأنصاريّ(٢).

(١) أبو رُهْم الغفاري: اسمه كلثوم بن الحصين، ممّن بايع تحت الشّجرة، أسلم بعد قدوم النّبيّ ﷺ المدينة، وشهد أحُدًا فرُمي بسهم في نحره، فسّميّ «المنحور»، استخلفه رسول الله ﷺ على المدينة عام الفتح، فلم يزل عليها حتّى انصرف رسول الله ﷺ من الطّائف. انظر: الطبري: التّاريخ، جـ٣، ص٥٠؛ ابن عبد البر: الاستيعاب، جـ٤، ص١٦٦٠.

(٢) ذكر الواقديّ أنّ الرّسول ﷺ استخلف في هذه الغزوة ابن أمّ مكتوم. انظر: مغازي الواقديّ، جـ١، ص٨.

اتّساع نفوذ الدّولة الإسلاميّة

بعد أن أقام الرّسول ﷺ الدّولة الإسلاميّة في المدينة - على النّحو الّذي بيّناه - بقي نفوذها مقصورًا -تقريبًا- على المدينة وما حولها، وإن تجاوز ذلك فبعقد محالفات وصداقات مع بعض القبائل القاطنة على الطّريق بين مكّة والمدينة، وذلك لجذب هذه القبائل إلى صفّه، أو على الأقلّ تحييدها في الصّراع بينه وبين قريش، الّتي كانت عدوّه الرّئيسيّ، والّتي وجّه إليها كلّ نشاطه العسكريّ في تلك الفترة ليجبرها على التّخلّي عن عداوتها للإسلام، ويمثّل ذلك النّوع من المحالفات، تلك المحالفة الّتي عقدها رسول الله ﷺ مع بني ضمرة[1]، الّذين كانوا من أهمّ القبائل القاطنة في تلك الجهة.

---

(١) بنو ضمرة بن بكر بن عبد مناة، بطن من كنانة بن خُزيمة، من العدنانيّة، منهم بنو غفار بن مليل بن ضمرة، غزاهم النّبيّ ﷺ فكانت أوّل غزواته بعد اثني عشر شهرًا من مقدمه المدينة، فوادعهم ﷺ أي: عاهدهم. انظر: عمر رضا كحالة: معجم قبائل العرب، جـ ٢، ص٦٦٨.

وبالنّظر إلى الكتاب الّذي كتبه لهم رسول الله(١) نجد أنّه ينصّ على: (تأمينهم على أنفسهم وأموالهم، وأنّ لهم النّصرة على من رامهم، إلّا أن يحاربوا في دين الله، وأنّ النّبيّ ﷺ إذا دعاهم لنصرته أجابوه)، فهي إذن معاهدة دفاع مشترك بينهم وبين الرّسول. ويوضّح لنا هذا الكتاب أو هذه المعاهدة، أنّ النّبيّ ﷺ نجح في أن يجذب إلى صفّه القبائل الّتي كانت في الأصل صديقة لقريش وتمدّها بالمعلومات عن تحرّكات المسلمين.

ويوضّح لنا كذلك امتداد نفوذ النّبيّ ﷺ وسلطانه، فكونه يضمن لبني ضمرة تأمين أنفسهم وأموالهم يدلّ على أنّه أصبح الأقوى نفوذًا، وأنّ قوّته معترف بها.

وظلّ النّبيّ ﷺ يعمل في هذا الاتّجاه، يقاوم قريشًا ويتصدّى لها، وفي الوقت نفسه يعمل جاهدًا في نشر الدّعوة وتوسيع

---

(١) ابن هشام: السيرة النبوية، جـ٢، ص ٢٣٥، ابن كثير: السيرة النبوية، جـ٢، ص٣٦٢؛ محمد حميد الله: مجموعة الوثائق السّياسيّة للعهد النّبويّ والخلافة الرّاشدة، ص ٢٦٦-٢٦٧.

نطاق نفوذ الدّولة لحماية الدّعوة، ولكن التّقدّم في هذا الاتّجاه ظلّ بطيئًا إلى عام الحديبية.

فقد كانت الحديبية نقطة تحوّل كبرى في تاريخ الدّعوة والدّولة معًا، فبعد الحديبية انفتح الطّريق أمام انتشار الدّعوة وامتداد الدّولة وذلك بفضل بعد نظر الرّسول ﷺ ومهارته السّياسيّة الفائقة، ففي شهر ذي القعدة من العام السّادس الهجريّ أعلن الرّسول عن عزمه الخروج معتمرًا مسالمًا لا محاربًا، وخرج بالفعل في ألف وأربعمائة من أصحابه، ولعلّه أراد أن يختبر نوايا قريش فلعلّها راجعت موقفها من الدّعوة - خصوصًا بعد الهزائم العسكريّة الّتي مُنيت بها - وتفتح معه صفحة جديدة، فها هو يمدّ يده إليها فماذا هي صانعة، وصل الرّسول ﷺ إلى الحديبية بالقرب من مكّة ووافته الأخبار بعزم قريش على منعه من دخوله مكّة، واتّصلت بينه وبينهم المفاوضات - الّتي لا نريد أن نقف عندها طويلًا الآن - وانتهت إلى ما عُرف بصلح الحديبية[1].

---

(١) الحديبية: قرية تبعد عن مكة (٤٠ كم) تقريبًا، وكان النّبيّ ﷺ قد خرج قاصدًا مكّة للعمرة، ومعه ألف وأربعمائة من المهاجرين والأنصار، ومن لحق بهم من العرب،=

والّذي كان من أهمّ بنوده وأعظمها أثرًا على مستقبل الدّعوة والدّولة ذلك البند الّذي نصّ على هدنة أو فترة سلام بين الفريقين مدّتها عشرة أعوام، وقبل الرّسول هذه المعاهدة -رغم المعارضة الشّديدة من بعض أصحابه- واستثمرها بنجاح فائق ظهر أثره واضحًا بعد فترة وجيزة.

ذلك أنّه ما إن استقرّ في المدينة بعد عودته من الحديبية حتّى شرع في تنفيذ خطّة واسعة النّطاق لتبليغ الدّعوة إلى جميع مناطق شبه الجزيرة العربيّة وإلى الدّول الأجنبيّة المجاورة؛

=وساقوا الهدي أمامهم فنزلوها، لكنّ قريشًا أبت أن يدخل المسلمون مكّة، وبعد تبادل الرّسل بين المسلمين وقريش، استدعت قريش سُهيل بن عمرو وأرسلته إلى رسول الله ﷺ للدّخول في صلح مع المسلمين، واصطلحوا على وضع الحرب بينهما عشر سنين، وأنّه من أتى رسول الله من قريش بغير إذن وليّه ردّه عليهم، ومن جاء قريشًا ممّن مع رسول الله لم تردّه عليه، وأنّه من أحبّ أن يدخل في عقد رسول الله وعهده دخل فيه، ومن أحبّ أن يدخل في عهد قريش وعهدهم دخل فيه، فدخلت خزاعة في عقد المسلمين، ودخلت بنو بكر في عهد قريش، وأن يرجع النّبيّ عامه هذا، فلا يدخل مكّة، على أن يدخلها في العام القابل بأصحابه، ويقيم بها ثلاثة أيّام. انظر: ابن هشام: السيرة النبوية، جـ٢، ص٣٠٩ـ٣٢١. ونصّ المعاهدة كاملًا لدى: محمّد حميد الله الحيدر آبادي: الوثائق السّياسية للعهد النّبويّ، ص٧٧- ٨٠؛ السيد بلاط: السّيرة النّبويّة تاريخ وتنظيم وتحليل وعبر، مطبعة الجريسي، القاهرة، ٢٠١٤م، ص٤١١- ٤٢٥.

ففي شهر المحرّم من العام السّابع الهجريّ أرسل ستّة سفراء[١] دفعة واحدة، إلى كسرى فارس وهرقل - إمبراطور الرّوم - والمقوقس في مصر، ونجاشي الحبشة، وأمير غسّان بالشّام، وزعيم بني حنيفة في اليمامة[٢].

اليمن أوّل إقليم عربيّ يدخل تحت سيادة الدّولة الإسلاميّة:

والّذي يهمّنا من أمر هذه الرّسائل الآن، هو أمر رسالته إلى كسرى فارس؛ فقد كانت هذه

(١) هؤلاء الرّسل هم: دحية بن خليفة الكلبيّ: إلى هرقل قيصر الرّوم، عبد الله ابن حذافة السّهميّ: إلى كسرى ملك الفرس، عمرو بن أميّة الضّمْريّ: إلى النّجاشيّ ملك الحبشة، حاطب بن أبي بلتعة: إلى المقوقس عظيم القبط، العلاء بن الحضرميّ: إلى المنذر بن ساوى العبديّ ملك البحرين، شجاع بن وهب الأسديّ: إلى الحارث بن أبي شمر الغسّانيّ ملك تخوم الشّام.

(٢) انظر رسائل النّبيّ ﷺ إلى الملوك والأمراء المعاصرين له عند ابن حجر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، جـ١،ص٣٢ وما بعدها، جـ ٨، ص١٢٧؛ وصحيح مسلم بشرح النووي، جـ١٢، ص ١٠٧-١٠٨؛ وتاريخ اليعقوبي، جـ٣، ص٦٧ وما بعدها؛ وابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ٢، ص١٤٥؛ وابن برهان الدين: السّيرة الحلبية، جـ٣، ص٢٤٤ وما بعدها؛ ومحمد حميد الله: مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، ص٨١ وما بعدها؛ وأحمد زكي صفوت: جمهرة رسائل العرب، جـ١، ص٣٢ وما بعدها؛ محمد حسين هيكل: حياة محمد، ص٣٨٣ وما بعدها.

الرّسالة وما ترتّب عليها من ردّ فعلٍ مفتاح إسلام أهل اليمن، ودخولهم ضمن نفوذ الدّولة الإسلاميّة.

والّذي حمل رسالة النّبيّ ﷺ إلى كسرى أبرويز بن هرمز، هو عبد الله بن حذافة السّهميّ، فلمّا أوصل إليه الرّسالة، وقرئت عليه استبدّ به الغضب والغرور وقال: يكتب إلي وهو عبدي يقصد النّبيّ ﷺ - وطرد عبد الله بن حذافة مبعوث النّبيّ ﷺ- من المدائن، ثمّ أرسل كتابًا إلى «باذان»[١] - عامله على اليمن - أن ابعث إلى هذا الرّجل الّذي بالحجاز رجلين من عندك جلدين فليأتياني به[٢].

(١) باذان: عامل كسرى على اليمن، وهو من أبناء الفرس الّذين أرسلهم كسرى لطرد الأحباش، فسكنوا اليمن وتزوّجوا من اليمنيّات، وقد أسلم باذان والأبناء الفرس، وبعث بذلك إلى النّبيّ ﷺ سنة ١٠هـ، فأمّره النّبيّ على ما تحت يده، وأملكه على قومه كما كان قد وعده بذلك، فلم يزل عاملًا عليها حتّى مات. ابن هشام: السيرة النبوية، جـ١، ص١٩١، ابن قتيبة: المعارف، ص٦٣٨، ٦٣٩، ابن حجر: الإصابة في تمييز الصّحابة، جـ١، ص٤٦٤.

(٢) أخرجه الطبري في تاريخ الرسل والملوك، (٢/ ٦٥٤، ٦٥٥).

فامتثل «باذان» لأمر سيّده، وأرسل قائدين من قوّاده هما «خرخسرو» و«بابويه» ومعهما عدد من الجنود، وقال لبابويه: ائت بلد هذا الرّجل وكلّمه وائتني بخبره.

فخرجا حتّى قدما على رسول الله ﷺ فكلّمه بابويه فقال: إنّ شاهنشاه - ملك الملوك كسرى[1] - قد كتب إلى الملك باذان يأمره أن يبعث إليك من يأتيه بك، وقد بعثني إليك لتنطلق معي، فإن فعلت كتب فيك إلى ملك الملوك ينفعك ويكفّه عنك، وإن أبيت، فهو من قد علمت، فهو مهلكك، ومهلك قومك، ومخرّب بلادك.

---

(١) هو كسرى برويز (المظفّر) بن هرمز بن أنوشروان، أو كسرى الثّاني، اعتلى العرش سنة ٥٩٠م، وحكم ما يقرب من ٣٨ سنة، وعلى رأس عشرين سنة من ملكه بعث الله ﷻ محمّدًا ﷺ رسولًا، دخل في حروب طويلة مع الدّولة البيزنطيّة، واستولى على كثير من أملاكها في آسيا الصّغرى والرُّها وأنطاكية ودمشق وبيت المقدس، لكنّه مني بهزيمة ساحقة أمام الإمبراطور الرّومانيّ (هرقل) في معركة نينوى، ثمّ قتل بأمر من ابنه «قباذ الثّاني» الملقّب بـ«شيرويه». للمزيد انظر: آرثر كريستنسن: إيران في عهد السّاسانيّين، ترجمة: يحيى الخشّاب، دار النّهضة العربيّة، القاهرة، د.ت، ص ٤٣٠، ٤٣١، ٤٧٧.

فقال لهما رسول الله ﷺ: «ارجعا حتّى تأتياني غدًا»، وأتى رسول الله الخبر من السّماء بأن الله سلّط على كسرى ابنه شيرويه فقتله، فدعاهما فأخبرهما، فقالا له: هل تدري ما تقول؟ إنّا قد نقمنا عليك ما هو أيسر من هذا، أفنكتب هذا عنك ونخبر الملك؟ قال: «نعم، أخبراه ذلك عنّي، وقولا له: إنّ ديني وسلطاني سيبلغ ما بلغ ملك كسرى... وقولا له: إن أسلمتَ أعطيتَ ما تحت يديك وملّكتك على قومك من الأبناء»(١).

أوصل رسولا «باذان» رسالة النّبيّ ﷺ إليه، ثمّ جاءته الأخبار من فارس تصدّق ما أخبر به النّبيّ، فلم يلبث باذان أن أراد الله به خيرًا وشرح صدره للإسلام، وأرسل إلى النّبيّ ﷺ وفدًا برئاسة فيروز الدّيلميّ بإعلان إسلامه وإسلام الأبناء من أهل اليمن(٢).

وأقرّه النّبيّ ﷺ على حكم المناطق الّتي كان يتولّاها تحت الإدارة الفارسيّة، والّتي يبدو أنّها كانت قاصرة على منطقة صنعاء

(١) الطبري: التاريخ، جـ٢، ص٦٥٦.

(٢) أخرجه الطّبري في تاريخ الرسل والملوك، جـ٢، ص٦٥٦.

وما حولها؛ لأنّ النّبيّ ﷺ ولّى ولاة آخرين على بقيّة مناطق اليمن الّتي تتابع دخولها في الإسلام، وكانت سياسة النّبيّ أنّ يولّي على كلّ قوم زعيمًا منهم. وكيفما كان الأمر فإنّ باذان كان أوّل ملوك العجم الّذين أسلموا وولّاه النّبيّ ﷺ الحكم باسم الإسلام[1]، وهذا أبلغ دليل على عالميّة الإسلام وسماحته وارتفاعه فوق القوميّات والعصبيّات فرجل أعجميّ وأجنبيّ عن البلاد يسلم فلا مانع إطلاقًا من أن يحكم تحت راية الإسلام.

ومن ولاة اليمن معاذ بن جبل، وأبو موسى الأشعري، وعليّ بن أبي طالب، وعمرو بن حزم الأنصاريّ[2]، ومرَّ تنظيم

---

(١) ابن سعد: الطبقات، جـ٥، ص٥٣٣، ابن عبد البر: الاستيعاب، جـ٣،ص٣٦٥، الرازي: تاريخ مدينة صنعاء، ص٧٥، ابن حجر: الإصابة، جـ ٣، ص٦٣٠. وانظر عبد الرّحمن عبد الواحد محمّد: اليمن في صدر الإسلام، رسالة ماجستير، ص١١٣.

(٢) عمرو بن حزم بن زيد بن لوذان الخزرجيّ، من بني مالك بن النجار، أوّل مشاهده الخندق، واستعمله رسول الله ﷺ على أهل نجران، وهو ابن سبع عشرة سنة، ليفقّههم في الدّين، ويعلّمهم القرآن، ويأخذ صدقاتهم، وذلك سنة عشر بعد أن بعث إليهم خالد بن الوليد، فأسلموا، وكتب له كتابًا فيه الفرائض والسّنن والصّدقات والدّيات، مات بالمدينة سنة إحدى وخمسين. وقيل: سنة ثلاث وخمسين. ابن عبد البر: الاستيعاب، جـ٣، ص١١٧٣.

حكم اليمن وتقسيم مناطقه بمراحل حيث أصبح بعد حجّة الوداع على النّحو التّالي:

١ - مِخْلَاف [(١)] صنعاء وعليه شهر بن باذان [(٢)].

٢ - مِخْلَاف حضرموت وعليه زياد بن لَبيد البياضيّ [(٣)].

---

(١) مِخْلَافِ: المخلاف لأهل اليمن وَاحِد المخاليف، مصطلح إداريّ استخدم في بلاد اليمن مرادفًا لكلمة (الكورة) في مصر، و(الرّستاق) في العراق، وتعني المدينة أو النّاحية أو الإقليم أو المنطقة، وهو ما يشبه المحافظة في مصر. للمزيد راجع: ابن المجاور: تاريخ المستبصر في صفة بلاد اليمن ومكّة والحجاز، راجعه ووضع هوامشه ممدوح حسن محمد، مكتبة الثقافة الدّينية، القاهرة ١٩٩٦م، ١٥٩-١٦١.

(٢) هو ابن باذان الّذي كان نائب كسرى على اليمن، ولمّا أسلم باذان ولاّه النّبيّ ﷺ على جميع مخاليف اليمن، وبقي حتّى مات بعد حجّة الوداع، فولّي النّبيّ ﷺ ابنه شهر بن باذان على صنعاء. ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، جـ١، ص٦٢٣.

(٣) زياد بن لبيد بن ثعلبة بن سنان بن عامر بن عديّ بن أميّة، ويكنى أبا عبد الله، من بني عمرو بن عوف من الأوس، وشهد بيعة العقبة مع السّبعين من الأنصار، وكان زياد لمّا أسلم يكسر أصنام بني بياضة هو وفروة بن عمرو، وخرج زياد إلى رسول الله ﷺ بمكّة فأقام معه حتّى هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة فهاجر معه، فكان يقال: زياد مهاجريّ أنصاريّ، شهد زياد المشاهد كلّها مع رسول الله ﷺ، واستعمله رسول الله ﷺ على حضرموت، وولي قتال أهل الرّدّة باليمن، مات في أوّل خلافة معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. انظر: ابن سعد: الطبقات الكبرى، جـ٣، ص٥٩٨؛ ابن عبد البر: الاستيعاب، جـ ٢، ص٥٣٣.

٣- مِخْلَاف الجَنَد - عاصمة حِمْيَر - وعليه معاذ بن جبل.

٤- مخلاف تِهامة وعليه الطّاهر بن أبي هالة.

وكان لمعاذ الإشراف على بقيّة المخاليف وتجمع عنده الأموال ليرسلها إلى الرّسول ﷺ في المدينة(١).

ولاية مكّة:

رأينا في الصّفحات السّابقة كيف وصلت الدّعوة الإسلاميّة إلى اليمن، وأصبحت جزءًا من الدّولة الإسلاميّة، يحكمها ولاة من قبل النّبيّ ﷺ، وتوافد عليها الصّحابة قضاة ومعلّمين؛ وفي العام الثّامن الهجريّ وفي شهر رمضان توجّه النّبيّ ﷺ إلى مكّة ففتحها، ويقول الطّبري: إنّ النّبيّ ﷺ ترك فيها أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ليدبّر الأوضاع بعد الفتح ويعلّم النّاس، ثمّ تولّى ولاية مكّة عتّاب بن أَسِيد، وظلّ واليًا عليها حتّى وفاة الرّسول ﷺ(٢)، وفرض الرّسول ﷺ لعتّاب درهمًا واحدًا في اليوم كراتب،

(١) البلاذري: فتوح البلدان جـ١، ص٨٢ وما بعدها؛ والقلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، جـ٥، ص٢٦.

(٢) أخرجه الطّبري في تاريخ الرسل والملوك، جـ٢، ص٨٢. وينظر ابن هشام: السّيرة النبوية، جـ٤، ص٦٩؛ البلاذري: فتوح البلدان، جـ٢، ص٤٦.

وكان عتَّاب يقول: أجاع الله كبد من جاع على درهم فقد رزقني رسول الله درهمًا كلّ يوم فليست لي حاجة إلى أحد، وهذا الرّاتب من أوّل ما وضِع من الرّواتب للعمّال[(١)].

وهكذا أسلمت مكّة - بعد مقاومتها العتيدة للإسلام - وأصبحت ولاية إسلاميّة وقد سبقت الإشارة إلى أن النّبيّ عيّن سعيد بن العاص لمراقبة سوقها بعد الفتح.

ولاية الطّائف:

في شهر رمضان من العام التّاسع الهجريّ قدوم ثقيف إلى رسول الله ﷺ بعد عودته من تبوك، وذلك بعد ما يقرب من عام من حصار الطّائف وفكّه عنها، وأعلنوا إسلامهم، فلمّا أسلموا كتب لهم رسول الله ﷺ كتابًا، وأمّر عليهم عثمان بن أبي العاص، بعد أن شاور فيه أبا بكر فقال له أبو بكر: إنّي قد رأيت هذا الغلام من أحرصهم على التّفقّه في الإسلام وتعلّم القرآن[(٢)].

---

(١) محمد كرد علي: الإسلام والحضارة العربية، جـ٢، ص٩٩.

(٢) ابن هشام: السيرة النبوية، جـ٥، ص٢٢٥، ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، جـ٣، ص٥٧٣.

إسلام البحرين:

بعد فتح مكّة أرسل النّبيّ ﷺ العلاء بن الحضرميّ إلى المنذر بن ساوى أمير البحرين(١)، وكتب إليه كتابًا يدعوه فيه إلى الإسلام، فأسلم وردّ على رسول الله بكتاب، جاء فيه: «أمّا بعد يا رسول الله، فإنّي قرأت كتابك على أهل البحرين، فمنهم من أحبّ الإسلام وأعجبه ودخل فيه ومنهم من كرهه، وفي أرضي مجوس ويهود فأحدث إليّ في ذلك أمرك. فردّ عليه النّبيّ ﷺ بكتاب جاء فيه:

«بسم الله الرّحمن الرّحيم، من محمّد رسول الله إلى المنذر ابن ساوى، سلام عليك، فإنّي أحمد إليك الله الّذي لا إله إلّا هو، وأشهد أن لا إله إلّا الله، وأنّ محمّدًا عبده ورسوله، أمّا بعد: فإنّي أذكرّك الله -عزّ وجلّ- فإنّه من ينصح فإنّما ينصح لنفسه، فإنّه من يطع رسلي ويتّبع أمرهم فقد أطاعني، ومن نصح لهم فقد نصح لي، وإنّ رسلي قد أثنوا عليك خيرًا،

---

(١) البحرين: اسم للبلدان الواقعة على ساحل الخليج بين البصرة وعُمان، ويتلفّظ بها بالياء والنّون في جميع الأحوال على المشهور. ياقوت: معجم البلدان، جـ١، ص٣٤٦، ٣٤٧.

وإنّي قد شفعّتك في قومك، فاترك للمسلمين ما أسلموا عليه، وعفوت عن أهل الذّنوب فاقبل منهم، وإنّك مهما تصلح فلن نعزلك عن عملك، ومن أقام على يهوديّته أو مجوسيّته فعليه الجزية»[1].

بهذا الشّكل دخل أهل البحرين الإسلام وأبقى الرّسول ﷺ أميرهم المنذر بن ساوى يحكمهم نيابة عنه، وبقي العلاء بن الحضرميّ معه قاضيًا ومعلّمًا وجامعًا للصدقات.

---

(١) ابن هشام: السّيرة النّبوية، جـ٤، ص٦٩٧، البلاذري: فتوح البلدان، جـ١، ص٧٠، ص٩٥، الطبري: تاريخ الرسل والملوك، جـ٣، ص٩٩، ابن سيد النّاس: عيون الأثر، جـ٢، ص٣٣٩.

إسلام أهل عُمان:

ثمّ أرسل رسول الله ﷺ عمرو بن العاص إلى جَيْفر وعبد -أو عبّاد- ابني الجلندى[1] ملكي عُمان، يدعوهما للإسلام، وأرسل إليهما معه كتابًا هذا نصه:

«بسم الله الرّحمن الرّحيم، من محمّد بن عبد الله إلى جَيْفَر وَعباد ابني الجُلنْدى، سلام على من اتّبع الهُدى، أمّا بعد: فإنّي أدعوكما بدعاية الإسلام، أسلما تسلما، فإنّي رسول الله إلى النّاس كافّة لأنذر من كان حيًّا ويحقّ القول على الكافرين، وإنّكما إن أقررتما بالإسلام ولّيتكما، وإن أبيتما أن تقرّا بالإسلام، فإنّ ملككما زائل عنكما، وخيلي تحلّ بساحتكما، وتظهر نبوّتي على ملككما»[2].

(١) جَيْفَر وَعباد: هما أولاد الجُلَنْدى (الجلنداء) بن كركر بن المستكبر بن مسعود، الّذي كان ملك عُمان أواخر العصر الجاهليّ، والجُلَندى مشتُقّ من الصّلابة، فيقال: بعير مُجَلَند، أي صعب وشديد، كان تابعًا لملك الفرس شأنه شأن المناذرة في العراق، وكان الملك منهما جيفر، وكانا من الأزد، بعث النّبيّ ﷺ إليهما عمرو بن العاص، فمضى عمرو إليهما فأسلما، وأسلم معهما بشر كثير. ابن حجر: الإصابة في تمييز الصّحابة، جـ٢، ص٢٩٨.

(٢) البلاذري: فتوح البلدان، جـ١، ص٩٢، ابن سيّد النّاس: عيون الأثر، جـ ٢، ص٣٣٩.

أوصل عمرو بن العاص كتاب النّبيّ إليهما وبعد مناقشات طويلة استطاع إقناعهما فأسلما، وأسلم قومهما بإسلامهما، وبقيا يحكمان بلدهما وبقي عمرو بن العاص ليجمع الصّدقات ويحكم ويقضي بين النّاس، وقال عنهما: «وصدّقا النّبيّ ﷺ وخلّيا بيني وبين الصّدقة وبين الحكم فيما بينهم وكانا عونًا لي على من خالفني»(١).

وهكذا في فترة وجيزة بعد صلح الحديبية، انتشرت الدّعوة الإسلاميّة، وامتدّ نفوذ الدّولة من اليمن إلى عُمان والبحرين، بالإضافة إلى مكّة والطّائف، وأصبح على كلّ هذه المناطق ولاة من قبل الرّسول ﷺ، وإلى جانبهم قضاة ومعلّمون وجباة. وبعد عودة رسول الله ﷺ من غزوة تبوك في رمضان من السّنة التّاسعة للهجرة أقبلت عليه الوفود من سائر أنحاء الجزيرة العربيّة(٢) معلنة إسلامها وبيعتها، وقبولها الدّخول تحت سيادة

---

(١) عيون الأثر جـ ٢، ص٣٤٢.

(٢) ابن هشام: السّيرة النّبويّة، جـ ٤، ص٢٢٢ وما بعدها، الطبري: تاريخ الرسل والملوك، جـ ٣، ص١٣.

الدّولـة، وكان الرّسـول ﷺ يعيّـن عليهـم الأمـراء والقضـاء وجامعـي الصّدقـات(١).

بحيث يمكننا القول: إنّ الجزيرة العربيّة بأسرها انتظمتها وحدة دينيّة وسياسية تحت زعامة النّبيّ ﷺ لأوّل مرّة في تاريخها.

وبوفـاة النّبـيّ ﷺ انتهـت مهمّتـه رسـولًا، وانقطـع الوحـي؛ لأنّـه خاتـم الأنبيـاء، وبقيـت مهمّتـه رئيسًـا للدّولـة الإسـلاميّة، وكان لا بـدّ لهـذه المهمّـة مـن يشـغلها، وقـد أعطـى الصّحابـة - رضـوان الله عليهـم - هـذه القضيّـة مـا تسـتحقّه مـن اهتمـام وبرهنـوا علـى إحسـاس عميـق بالمسـؤوليّة، فحسـموا أمـر مـن يخلـف النّبـيّ ﷺ في زعامـة الدّولـة، في نفـس اليـوم الّـذي توفّـي فيـه - علـى أرجـح الرّوايـات - وبويـع أبـو بكـر الصّديـق خليفـة وزعيمًـا للأمّـة، بمـا يشـبه الإجمـاع، وكان تعليـق أحـد الصّحابـة علـى هـذه البيعـة المباركـة بهـذه السّـرعة - وهـو سـعيد بـن زيـد بـن

(١) الطّبري: تاريخ الرّسل والملوك، جـ٣، ص١٤٧.

عمرو بن نُفيل - قال: «لقد كرهنا أن نبيت ليلة واحدة بعد وفاة نبيّنا بدون إمام»(١).

وبعد؛ فهذه لمحة موجزة عن دولة الإسلام وإدارتها وجهاز حكمها في عهد رسول الله. ولمن يريد المزيد من التّفصيلات عن الموضوع فليرجع إلى المصادر الّتي تحدّثت عن نظام الحكم في الإسلام قديما وحديثًا، وهي أكثر من أن يأتي عليها الحصر، فمن المصادر القديمة: كتاب «الأحكام السّلطانية» لأبي يعلى، وكتاب «الأحكام السّلطانيّة»، للماوردي، «والفخري في الآداب السّلطانيّة، لابن طباطبا، و«الوزراء والكتّاب»، للجهشياريّ، و«مقدّمة ابن خلدون»، وكتاب «تخريج الدّلالات السّمعيّة»، لأبي الحسن الخزاعيّ - وقد سبقت الإشارة إليه - وكتابا «السّياسة الشّرعيّة» و«الحسبة في الإسلام»، لابن تيمية.

---

(١) ورد هذا المعنى عن سعيد بن زيد العدويّ عند الطّبريّ، من طريق الأخباريّ سيف بن عمر التّميميّ، ولفظه: «قال عمرو بن حريث لسعيد بن زيد: أشهدت وفاة رسول الله ﷺ؟ قال: نعم، قال: فمتى بويع أبو بكر؟ قال: يوم مات رسول الله ﷺ، كرهوا أن يَبْقَوْا بعض يوم وليسوا في جماعةٍ». تاريخ الرسل والملوك، جـ٣، ص٢٠٧. وينظر ابن الأثير: الكامل في التّاريخ، جـ٢، ص١٩٢.

ومن الكتب الحديثة: «كتاب نظام الحكومة النّبويّة» لعبد الحيّ الكتّانيّ الّذي سبقت الإشارة إليه أيضًا، وكتاب «نظام الحكم في الشّريعة والتّاريخ»، لظافر القاسميّ، وكتاب: «نظام الحكم في الإسلام» للشّيخ صادق عرجون، وكتاب «دولة الإسلام والعالم»، للدّكتور محمّد حميد الله الحيدر آبادي، ترجمة الدّكتور فتحي عثمان، وكتاب «دولة الفكرة الّتي أقامها رسول الله عقب الهجرة» للدّكتور محمّد فتحي عثمان، وكتاب «النّظم الإسلاميّة» للدّكتور صبحي الصّالح، وكتاب «النّظم الإسلاميّة» للدّكتورين حسن إبراهيم حسن وعلي إبراهيم حسن، وكتاب «النّظم الإسلاميّة» للدّكتور إبراهيم أحمد العدويّ، وكتاب «الدّين والدّولة من توجيه القرآن» للدّكتور محمّد البهيّ... إلخ.

ثَبتُ المصادر والمراجع

أولًا: المصادر:

١. أُسد الغابة في معرفة الصحابة ابن الأثير: عز الدين أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم الشيباني المتوفى سنة٦٣٠هـ = ١٢٣٣م، تحقيق: محمد إبراهيم البنا، وزميليه، طبعة دار الشعب، القاهرة ١٩٧٠م.

٢. الاستيعاب في معرفة الأصحاب ابن عبد البر: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد النَّمْري، المتوفى سنة ٤٦٣ هـ= ١٠٧٠م، تحقيق: علي محمد البجاوي، طبعة دار الجيل بيروت ١٩٩٢م، المصورة عن طبعة الحلبي، القاهرة ١٩٦٧م.

٣. الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر: أبو الفضل أحمد ابن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، المتوفى سنة ٨٥٢هـ = ١٤٤٨م، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الطبعة الأولى، دار هجر للنشر، القاهرة ٢٠٠٨م.

٤. الأموال، ابن زنجويه: حميد بن مخلد بن قتيبة بن عبد الله الخرساني، المتوفى سنة ٢٥١هـ= ٨٦٥م. تحقيق: شاكر ذيب فياض، ط١، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض،١٩٨٦م.

٥. الأنساب، السمعاني: أبو سعد عبد الكريم بن محمد ابن منصور التميمي، المتوفى سنة ٥٦٢ هـ = ١١٦٧م، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وغيره، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ١٩٦٢م.

٦. إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون المعروف بالسيرة الحلبية، الحلبي: نور الدين أبو الفرج علي بن إبراهيم أحمد بن برهان الدين، المتوفى سنة١٠٤٤هـ= ١٦٣٤ طبعة المكتبة العصرية، بيروت ٢٠٠٧م.

٧. تاريخ الطبري تاريخ الرسل والملوك، الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن غالب الآملي، المتوفى سنة ٣١٠هـ= ٩٢٣م، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، نشرة دار المعارف، معادة بالتصوير، دار التراث، بيروت، ١٩٦٩م.

٨. التاريخ الكبير البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل ابن إبراهيم بن المغيرة الجُعفي، المتوفى سنة ٢٥٦هـ= ٨٦٩م، تحقيق: عبد الرحمن المعلمي اليماني وزميله، طبعة دائرة المعارف العثمانية، بإشراف محمد عبد المعيد خان. حيدر آباد ـ الدكن ١٩٤١ - ١٩٥٩م.

٩. تاريخ بغداد الخطيب البغدادي: أبو بكر أحمد بن علي ابن ثابت، المتوفى سنة ٤٦٣ هـ= ١٠٧٢م، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت ٢٠٠١م.

١٠. تاريخ مدينة صنعاء الرازي: أبو العباس أحمد بن عبد الله بن محمد الصنْعاني الرازي أصلًا، المتوفى سنة ٤٦٠هـ= ١٠٨٦م، تحقيق حسين عبد الله العمري، ط٣ دار الفكر، بيروت ١٩٨٩م.

١١. تثبيت دلائل النبوة، عبد الجبار الهمذاني: القاضي أبو الحسن بن أحمد الهمذاني الأسد آبادي، المتوفى سنة ٤١٥هـ= ١٠٢٤م، طبعة دار المصطفى، القاهرة، د.ت.

١٢. تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله ﷺ من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية، الخزاعي، أبو الحسن علي بن محمد بن أحمد بن موسى التلمْساني، المتوفى سنة ٧٨٩هـ= ١٣٨٧م.طبعة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة ١٩٨٠م.

١٣. تهذيب اللغة، الأزهري الهروي: أبو منصور محمد بن أحمد الهروي، المتوفى سنة ٣٧٠هـ= ٩٨٠م، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت ٢٠٠١م.

١٤. الحسبة في الإسلام = وظيفة الحكومة الإسلامية، ابن تيمية: تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام النُّميري الحراني، المتوفى سنة ٧٢٨هـ= ١٣٢٨م، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

١٥. الروض الأُنُف، السُّهيلي: عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد الخثعمي، المتوفى سنة ٥٨١ هـ = ١١٨٥م، في شرح السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٠م.

١٦. زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم: شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، المتوفى سنة ٧٥١هـ = ١٣٥٠م، القاهرة، د.ت.

١٧. سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد وذكر فضائله وأعلام نبوته، الصالحي: شمس الدين محمد ابن يوسف بن علي بن يوسف الشامي، المتوفى سنة ٩٤٢ هـ= ١٥١٨م، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، ط١، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ١٩٩٣م.

١٨. سراج المريدين في سبيل الدين، ابن العربي: أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد المعافري الإشبيلي، المتوفى سنة ٥٤٣هـ= ١١٤٨م، ضبط نصه وخرج أحاديثه عبد الله التوراتي، منشورات دار الحديث الكتانية، طنجة ٢٠١٧م.

١٩. سير أعلام النبلاء، الذهبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز، المتوفى سنة ٧٤٨هـ= ١٣٤٧م، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرين، منشورات مؤسسة الرسالة، بيروت ـ ١٩٨٥م.

٢٠. السيرة النبوية، ابن هشام: أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، المتوفى سنة ٢١٣هـ = ٨٢٨م، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة حجازي بالقاهرة: ١٣٥٦هـ/ ١٩٣٧م.

٢١. الصحاح = تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، المتوفى سنة ٣٩٣هـ = ١٠٠٣م، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط٤ دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧م.

٢٢. صحيح البخاري وهو الجامعُ المُسند الصَّحيح المُختصر من أمور رسول الله ﷺ وسُنَنِهِ وأيَّامه تحقيق: مصطفى البُغا، دار ابن كثير، دمشق ١٩٩٣م.

٢٣. صحيح مسلم بشرح النووي، المطبعة المصرية ومكتبها. القاهرة بدون تاريخ.

٢٤. الطبقات الكبرى، ابن سعد: محمَّد بن سعْد بن منيع الزُّهْرِي، المتوفى سنة ٢٣٠هـ= ٨٤٥م، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت ١٩٦٩م.

٢٥. العقد الفريد، ابن عبد ربه: أبو عمر شهاب الدين أحمد بن محمد الأندلسي، المتوفى سنة ٣٢٨هـ= ٩٤٠م، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٦٢م.

٢٦. عيون الأثر في فنون المغازي والشَّمائل والسيِّر، ابن سيد الناس: أبو الفتح محمَّد بن محمَّد بن أحمد اليَعمُري الرَّبعي، المتوفى سنة ٧٣٤هـ= ١٣٣٤م، منشورات دار الآفاق الجديدة، الطبعة الثانية، بيروت، ١٩٨٠م.

٢٧. فتح الباري بشرح صحيح البخاري المطبعة السلفية، القاهرة، بدون تاريخ.

٢٨. فتوح البلدان البَلاذُري أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البغدادي، المتوفى سنة ٢٧٩هـ = ٨٩٢م. تحقيق: صلاح الدين المنجِّد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٥٨م.

٢٩. الفصول في سيرة الرسول ﷺ، ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري ثم الدمشقي، المتوفى سنة ٧٧٤هـ= ١٣٧٢م، مكتبة دار التراث، المدينة المنورة ١٩٨٥م.

٣٠. القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية والتنبيه على مذهب الشافعية والحنفية والحنبلية، ابن جُزَّي: أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله الكلبي الغرناطي، المتوفى سنة ٧٤١هـ=١٣٤٠م. تحقيق: ماجد الحموي، دار ابن حزم - بيروت ٢٠١٣م.

٣١. الكامل في التاريخ، لابن الأثير عز الدين أبو الحسن الشيباني، طبعة دار صادر، بيروت، ١٩٦٥م، مأخوذة عن نشرة كارلوس تورنبرج، أمستردام - ليدن ١٨٥١- ١٨٥٦م.

٣٢. كتاب الطبقات، خليفة بن خياط: أبو عمرو خليفة ابن خياط بن أبي هبيرة الليثي العصفري، المتوفى سنة ٢٤٠هـ= ٨٥٤م، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٣م.

٣٣. كتاب العين، الفراهيدي: أبو عبد الرحمن الخليل ابن أحمد بن عمرو بن تميم البصري، المتوفى سنة ١٧٠هـ= ٧٨٦م، تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، د.ت.

٣٤. معجم البلدان، ياقوت الحموي: شهاب الدين أبو عبد الله بن عبد الله الرومي الحموي، المتوفى سنة ٦٢٦هـ= ١٢٢٩م، طبعة دار صادر، بيروت، ١٩٩٥م المأخوذة عن نشرة فردناند وستنفلد، ليبزج ١٨٦٦م.

٣٥. المنهاج بشرح صحيح مسلم بن الحجاج، النووي: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف بن حسن الحزامي الحوراني، المتوفى سنة ٦٧٦هـ= ١٢٧٧م.

٣٦. النهاية في غريب الحديث والأثر ابن الأثير: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، المتوفى سنة ٦٠٦هـ= ١٢٠٩م. نشرة الطاهر الزاوي ومحمود الطناحي، المكتبة العلمية - بيروت، ١٩٧٩م.

٣٧. وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، السمهودي: نور الدين أبو الحسن علي بن عبد الله بن أحمد الحسني، المتوفى سنة ٩١١هـ = ١٥٠٥م، تحقيق وتقديم: قاسم السامرائي، ط١، مؤسسة الفرقان، لندن، ٢٠٠١م.

ثانيًا: المراجع:

١. أبـو بكـر الصديـق أول الخلفـاء الراشـدين، محمـد رضـا، الأديب المتـوفى سـنة ١٣٧٠هـ = ١٩٥١م، دار إحيـاء الكتـب العربيـة، ط٢، ١٩٥٠م.

٢. الإسـلام والحضـارة العربيـة، محمـد كـرد علـي، المتوفى سنة ١٣٧٢هـ = ١٩٥٣م. مطبعة لجنة التأليف والترجمـة والنشـر. القاهـرة ١٩٦٨م.

٣. إيران في عهد الساسانيين، آرثر إيمانويل كريستنسن، المتـوفى سـنة ١٣٦٤هـ= ١٩٤٥م، ترجمـة: يحيـى الخشـاب، دار النهضـة العربيـة، القاهـرة، د.ت.

٤. تاريـخ أوروبـا في العصـور الوسـطى، إينـاس حسـني البهجـي، مركـز الكتـاب الأكاديمـي، بغـداد ٢٠١٧م.

٥. التاريـخ والمؤرخـون المسـلمون في العصـور الوسـطى، السـيد عبـد الفتـاح بـلاط، مطبعـة الجريسـي، القاهـرة، ٢٠١٢م.

٦. الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، أحمد عبد الرازق أحمد، دار الفكر العربي، القاهرة، ٢٠٠١م.

٧. حياة محمد، محمد حسين هيكل باشا، المتوفى سنة ١٣٧٦هـ= ١٩٥٦م، دار المعارف بالقاهرة الطبعة الثانية عشرة.

٨. دولة الفكرة التي أقامها رسول الإسلام عقب الهجرة، محمد فتحي عثمان، المتوفى سنة ١٤٣١هـ= ٢٠١٠م، مكتبة وهبة -القاهرة.

٩. الدين والدولة من توجيه القرآن الكريم، محمد البهي، المتوفى سنة ١٤٠٢هـ= ١٩٨٢م، دار الفكر، بيروت ١٩٧١م.

١٠. رحمة للعالمين، المنصورفوري: القاضي محمد سليمان الهندي، المتوفى سنة ١٣٤٨هـ= ١٩٣٠م، ترجمه من الأردية إلى العربية: د. سمير عبد الحميد إبراهيم، دار السلام للنشر والتوزيع -الرياض، د.ت.

١١. السيرة النبوية تأريخ وتنظيم وتحليل وعبر، مطبعة الجريسي، القاهرة، ٢٠١٤م.

١٢. مجموعة الوثائق السياسية للعصر النبوي والخلافة الراشدة، محمد حميد الله الحيدر آبادي، المتوفى سنة ١٤٢٣هـ = ٢٠٢٠م، دار النفائس، بيروت ١٩٨٥م.

١٣. المعالم الأثيرة في السنة والسيرة، محمد شُرَّاب، ط١، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ١٩٩١م.

١٤. معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، عمر ابن رضا كحَّالة بن محمد راغب بن عبد الغني الدمشقي، المتوفى سنة ١٤٠٨هـ = ١٩٨٧م، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٤م.

١٥. معجم مصطلحات الصناعة والأعمال، حسين بن عبد الله الوطبان، مكتبة العبيكان، ٢٠٠٢م.

١٦. موسوعة القبائل العربية، محمد سليمان الطيب، بحوث ميدانية وتاريخية ج٢، محمد سليمان الطيب، دار الفكر العربي، ط٣، ٢٠١٠م.

١٧. نظام الحكم في الإسلام، محمد الصادق عرجون المتوفى سنة ١٤٠٠هـ= ١٩٨٠م. مكتبة وهبة - القاهرة، د.ت.

١٨. نظام الحكم في الشريعة والتاريخ، ظافر القاسمي: محمد ظافر بن محمد جمال الدين الدمشقي، المتوفى سنة ١٤٠٤هـ= ١٩٨٤م، دار النفائس، بيروت ١٩٧٤م.

١٩. نظام الحكومة النبوية، عبد الحي الكتاني: محمد عبد الحي بن عبد الكبير بن محمد الحسني الإدريسي، المتوفى سنة ١٣٨٢هـ = ١٩٦٢م، المسمى التراتيب الإدارية، دار الكاتب العربي، بيروت د.ت.

فهرس المحتويات

الأزهر الشريف
هيئة كبار العلماء